

مابين الحياة والموت

ثلاثية سعدنى السلامونى الروائية



قصة حياة
الجزء الأول

الحياة الثالثة

هي التى تحيا بين الليل والنهار
بين الأبيض والأسود
بين الخير والشر
بين الأرض والسماء
بين الحياة والموت
من هنا جاءت هذه الرواية

سعدنى السلامونى

الإهداء

إلى الأديب الشمولي،
والكاتب الصحفي الكبير أحمد خالد
رئيس تحرير موقع «بوابات الحضرات»
صاحب فكرة هذا الكتاب، والكتاب الثاني اللذين يحملان قصة
حياتي.
ومن قبل ومن بعد،

إلى
الفلاحة الفصيحة،
زوجتي الشاعرة إيمان النادي.

السلاموني
٢٠٢٥/٨/٢٤

نسعد بوجود قاعات رفيعة

في الفن والإبداع
وأساتذة أكاديميين
وفنانين كبار ونقاد في
الفن والأدب نرعى هذا
الكيان الحضاري الهام
ونسعى في هذا الإطار
بتقديم كل ما هو مفيد
وجديد وهام في حياة
المبدعين والمبدعات



انتاج سلسلة ابداعات محو الأمية البصرية

< رئيس التحرير والمستشار العام >
أ.د. مصطفى النشار
رئيس الجمعية الفلسفية المصرية
< مدير التحرير والمسئول الفني >
الفنان/ خضر مصطفى

< سكرتارية التحرير >
محمد فرحات
< المستشارون >

أ.د. حسين محمود
عميد كلية اللغات والترجمة بجامعة بدر
أ.د. جمال التلاوي
رئيس مجلس إدارة المعهد العالي للغات بالمنيا
أ.د. السيد عبده سليم
عميد كلية التربية النوعية بكفر الشيخ السابق
أ.د. أشرف فتحي عبد العزيز
عميد كلية التربية جامعة قناة السويس السابق
الكاتب الصحفي والمؤرخ محمد الشافعي
رئيس تحرير دار الهلال الأسبق

بطرس دانيال
رئيس المركز الكاثوليكي للسينما
< رئيس مجلس الإدارة >
الشاعر والكاتب/ سعدني السلاموني

سلسلة كتب الالكترونية وورقية

تعني بإبداعات المبدعين
المصريين والعرب في
كافة مجالات الفنون
والثقافة والأدب لما
تمثله من قيمة رفيعة
في نهضة الأمم خالص
التمنيات لبلدنا ووطننا
العربي الكبير بمزيد من
الرفعة

للتواصل:

elsadnyelsalamony@gmail.com

واتساب: ٠١١٣٣٢١٩٤٩

ت: ٠١٠٠٩٩٨٣٦٨٨

تقديم
من سماء القرية إلى سماء العالم



إبراهيم عبد المجيد

تصدير
اجتهد حتى تكون كاتبًا وتقود العالم.
حكمة حضارة مصر القديمة.

الحديث عن سعدني السلاموني يخص القلب خاصة لمن هم مثلي، عرفوه في أول حضوره للقاهرة من قريته. قرية نادر مركز الشهداء محافظة المنوفية، يبحث عن مكان بين الأدباء والشعراء في الحياة الأدبية. لكنني سأبتعد عن القلب قليلا، وأمشي مع العقل وأنا أقدم هذه السيرة، وهذا الكتاب الذي سيأتي في ثلاثة أجزاء متتالية. سأختصر وأوجز سعدني السلاموني المستعصي على الإيجاز، وأقول إنه شاعر العامية المتفرد في صوره الشعرية، منذ قرأنا شعره في المجلات والصحف أو في دواوين.

للسعدني عشرون كتابا بين الشعر والرواية الشعرية التي لم يقتحم عالمها سابقا غيره، هو الباحث عن التجارب والخروج على المؤلف. فضلا عن سبقه في تأسيس مشروع محو الأمية البصرية الذي صار حديث الدنيا، ومعه في مجلس إدارته أساتذة عظماء من الجامعات المصرية، وكتب فيه كتابا فائقا في العلم الجديد. دهشتك من كيف استطاع هذا الذي تعلم القراءة والكتابة في السابعة والعشرين من عمره، والذي عاش حياة صعبة في طفولته وشبابه ستعرفها في الكتاب، أن يصنع حياة يصل فيها شعره إلى الترجمات العالمية، ووصل فيها علمه إلى العالم. يفتتح كتابه بعبارة عابرة للزمن يقول فيها:

«اجتهد حتى تكون كاتباً وتقود العالم- حكمة حضارة مصر القديمة» بعدها يبدأ الكتاب بفصل عنوانه « اكتبوه ميتا». الجملة التي قالها والده لخفير القرية وهو في الخامسة من عمره حين سأله عنه، وظلت تطارده حتى السابعة والعشرين من عمره، حين تعلم الكتابة والقراءة ليثبت لهم العكس. رحلته أيضا في دراسة الخط العربي وكيف صار يكتب لافتات للانتخابات في قريته، ولوحات التلاميذ في المدارس، لكنه رغم ذلك ظل في نظرهم ميتا. كتب الشعر ووفد إلى القاهرة، وبدأت الرحلة بديوانه الأول «رغاوي الألم» الذي عانى من عدم نشره، حتى نشره له الشاعر محمد كشيكي في سلسلة أصوات أدبية بالثقافة الجماهيرية مؤمنا بموهبته، رغم رفض جهات كثيرة لنشره، فملاً أفق الحياة الأدبية.

وتستمر مع فصول الكتاب بلغته النثرية الأقرب إلى الشعر. كيف تتالت أعماله الشعرية والرواية الشعرية وترجم الكثير من اشعاره إلى لغات عالمية. أنا شاهد على هذا كله. أصدر في نهاية التسعينيات مجلة «الرصيف» التي فجرت كثيرا من القضايا الأدبية وأنا شاهد عليها أيضا. كل ذلك وهو في نظر الجميع ميت، لكن الأموات كما يقول في بلاغة رائعة، هم من يديرون حياة الأحياء ما بين الحياة والموت. يقول

أيضا. أنت تولد في عالمنا العربي حرا، لكن حياتك تكون مُراقبة من كل ناحية.

يلخص الأمر في هذا المقطع الفلسفي عابر الزمن:

صاحي بين موت وموت

بين وقت خاين على صدرك يفوت

بين خلائق عنكبوت.

لا عُدت عارف تعيش

ولا انت قادر تموت.

يقول إن لكل انسان عمرا واحدا، لكنه عاش عمريين. عمر جاهليته قبل أن يتعلم القراءة والكتابة، وعمر منذ عام ١٩٨٢ بعد أن تعلم القراءة والكتابة وخرج إلى النور.

كيف علمه أبوه مهنة نجار السواقي قبل أن يتعلم القراءة والكتابة.

كان ينظر إلى السماء فتأخذه رؤيته التشكيلية إلى رؤيتها بكل ألوانها.

كيف بدأت رحلته مع الكتب وبعض شعراء قريته، وحيرته في أشكال

الشعر ورغبته في التمرد، وأن تكون راحة عينيه في الرواية والسينما

والفوتوغرافيا والصورة. ولقد حدث. كيف كتب في بداياته ديوانا رآه

ضعيفا فلم يضمه لأعماله. وهذا طبيعي. ثم جاء ديوانه «رغاوي الألم»

عام ١٩٩٥ فكان مفتتح الطريق. سعادته في قريته بنشر قصائده التي

تردد في إرسالها لمجلات القاهرة وأرسلها أصحابه الشعراء، وكيف أحس

إنه حصل على نوبل. مقابلته لشيخ الخطاطين خضير البورسعيدي

وكيف تعلم أن الخط ليس بالبصر فقط لكن بالبصيرة، وأن اللوحة لا تُقرأ

بخطها، بل بخلفيتها التي يجب أن تكون في أذهاننا. كلام رائع في الفن.

مع رحلته إلى القاهرة عام ١٩٨٤ تأتي مشاعره وهو قادم من قرية ليس بها

كهرباء. شيء من قصائده بصورها الفنية الرائعة. كيف كانت إقامته في

جنيانة ميدان التحرير كأنه متسول في نظر البعض. لقاءاته مع كتاب مثل

إبراهيم داود وهشام قشقة وقامات تشكيلية مثل صلاح عناني وجورج

البهجوري وعادل السيوي ومحمد عبلة وفاطمة إسماعيل تعلم منهم

كيف يقرأ اللوحة، وما لاقاه صلاح عناني من حروب، وكيف كان هو أول

من أطلق فكرة مشروع محو الأمية البصرية في ذهن سعدني. يرد الخير

لأهل الخير دائما. تفاصيل صغيرة لكنها شكلت مسيرته مثل عضوية

أتيليه القاهرة في عهد الفنان حسن الأعصر الذي كان المشجع الثاني له

في مشروع محو الأمية البصرية بعد صلاح عناني.

لقاؤه معي وكيف قدمته لمدير النشر بالجامعة الأمريكية، وكيف تلقفته

الدكتورة سامية محرز، وقامت بتدريس ديوانه بالجامعة الأمريكية. كارنيه اتحاد الكتاب وكيف غير مهنته من نجار سواقي إلى كاتب. وما واجهه من مشاكل حتى فصل من العضوية. لقاءه بنجيب محفوظ وما قاله محفوظ عنه، فنقله إلى سماوات مفتوحة لا نهاية لها. صار حديث الصحف والمجلات. مشاركته في السياسة والمظاهرات في بلده ضد نظام الحكم، ولقاؤه الرائع في القاهرة مع حمدين صباحي، وأعلام حزب التجمع الوطني مثل رفعت السعيد، وخالد محيي الدين الذي سيقنع المشير طنطاوي بإصدار قرار علاج له على نفقة الدولة بمستشفى القوات المسلحة بالمعادي.

مساعدة حمدين صباحي له في الحصول على شقة، ومساعدة الدكتور سمير سرحان العظيمة بتعاقدته معه على عدد من الكتب، ومن عاينها حصل على الشقة. تراتب صدور الدواوين وما دار حولها. كيف تعرف على الكمبيوتر والإنترنت وأثر ذلك في شعره. وديوانه «إنترنت» الذي أخرجه من قوالب الشعر التي اخترقها من قبل، لكن إلى السريالية، ولقائه بالكاتب الكبير صبري موسى وإعجابه به وتشجيعه. والصحفي أحمد خالد بالأهرام الذي فتح له طريق الكتابة بالجريدة لمساعدته ماديا. كيف أصدر أول ديوان مرئي وأول ديوان مسموع، ودعم الوزير الفنان فاروق حسني له في هذه التجربة الجديدة، ومساعدة الفنان أحمد نوار في نشر الديوان المرئي والمسموع. مشروع محو الأمية البصرية كيف بدأ ومن معه، والصراع من أجل المشروع. كيف اتصلت به جامعات العالم، والأفلام الوثائقية عنه، وشخصيات أكاديمية عظيمة مثل السفير رضا الطايبي والدكتور محمد مستجير، ولقائه بالمخرج مصطفى العقاد مخرج فيلم الرسالة، وكل ما أقام في روحه مشروع محو الأمية البصرية. صور رائعة من أحاسيسه مع كوكب الريف الذي جاء منه وقصائد رائعة. من أجمل ما في الكتاب الحديث عن حب الأطفال في قريته. حديث عن الطفلة ناهد التي يعيشها كل الأطفال وهو منهم، وأحب أن أختتم حديثي بشيء مما قاله فيها. الحقيقة يغريني شعر سعدني منذ عرفته وقرأته لكنني أترك لكم قراءته، كما أترك لكم المتعة مع الكتاب في مراحل عمره. يقول:

البنيت اللي بتطلع لي ساعة نومي

تجري على سطور كشكولي

وتحاور فيه لحد ما دخلها قصيدتي

شايفها هناك.. أهى!

شايفينها؟

بتدوس علي روعي بصندلها
بس انا مش شايف:
اللي بين سطرين سنانها دا دمي
ولا أحمر شفايف!

إبراهيم عبد المجيد

٢- نوفمبر ٢٠٢٥

«اكتبوه ميتاً»

جملة قالها والدي لخفير القرية، وأنا في سن الخامسة من عمري، منذ خمسة وخمسن عاماً تقريباً، وظلت تطاردني طوال كل هذه السنين منذ كنت طفلاً...

حتى وصل عمري إلى السابعة والعشرين، ثم تعلمت القراءة والكتابة لأثبت لهم أنني لست ميتاً.

ولكنني ميت في نظرهم فقط!

ثم درست الخط، وكنت أكتب يافطات الانتخابات في قريتي، واللوحات المدرسية لأبناء قريتي،

وأنا في نظرهم ميت؟؟!

ثم كتبت الشعر، ورحلت وراءه مرغماً إلى القاهرة، ليقدمني الأديب العالمي نجيب محفوظ -الحاصل على جائزة نوبل- قدمني على صفحات الجرائد المصرية والعربية بعقري الشعر، ويتصدّر شعري، كما تصدر صوري وحياتي، معظم الجرائد والقنوات العالمية،

وأنا في نظرهم ميت؟؟!

ثم تم تدريس ديواني الأول رغاوي الألم في الجامعة الأمريكية، وقررت على طلبة الجامعة الأستاذة الدكتورة سامية محرز، حفيدة الشاعر العظيم إبراهيم ناجي،

وأنا في نظرهم ميت؟؟!

وجاءت من بعده الدواوين الأربعة والعشرون، ما بين الديوان والرواية الشعرية، ونشرت الدولة منها سبعة عشر ديواناً ضمن سلاسل «كبار كتاب مصر»، وتمت ترجمة بعضها إلى لغات عديدة،

وأنا في نظرهم ميت؟؟!

«اكتبوه ميتاً»

قدّمت خمس روايات شعرية كجنس أدبي جديد، وصدرت في سلاسل كبار كتاب مصر،

وأنا في نظرهم ميت؟؟!

أصدرتُ مجلة الرصيف، وكان يعمل معي ثلاثون صحفيًا، حتى وصلت أعدادها إلى خمسة وعشرين عددًا، ومعها سلسلة إبداع الرصيف، وأسهمت في تشكيل وجدان الإعلام المصري والعربي،

وأنا في نظرهم ميت؟؟!

ثم قدّمت أربعة مجلدات شعرية: أول موسوعة شعرية وتشكيلية، بالتعاقد مع وزير الثقافة الفنان فاروق حسني، وأصدرت وزارة الثقافة منها عام ٢٠٠٤ أول ديوان مرئي ومسموع على مستوى العالم، من قطاع الفنون التشكيلية، ثم تم وضعه في مكتبات متاحف العالم،

وأنا في نظرهم ميت؟؟!

وعام ٢٠٠٧، تم تصوير فيلم وثائقي عن حياتي للمخرجة العالمية فتحية عمر - إنتاج أسترالي - بعنوان «سعدني السلاموني... من الرصيف إلى العالمية»، من جزئين، كل جزء ساعة، وتم عرضه في مصر وأستراليا، وكان له صدى عظيم،

وأنا في نظرهم ميت؟؟!

ثم فيلم من الأمم المتحدة، ثم كتابة مسلسل تلفزيوني عن حياتي من ثلاثين حلقة، للسيناريسات الكبير محمد عرابي - حفيد الزعيم أحمد عرابي - وسلمه للإنتاج المصري،

وأنا في نظرهم ميت؟؟!

قدمت مشروعي العلمي «محو الأمية البصرية»، علم عالمي جديد وتعليم عالمي جديد، وقدمته للعالم العالم القدير أحمد زويل - الحاصل على جائزة نوبل -، وانضم إلى المشروع ٦٣ عالمًا من خيرة علماء مصر والوطن العربي، ويديره سبعة عمداء كليات وخمسة عشر أستاذًا ورئيس قسم. قام المشروع بثورة علمية كبيرة، حتى أصبحوا يقولون: «العلم قبل محو الأمية البصرية، والعلم بعد محو الأمية».

أول مدرسة على مستوى العالم:

مدرسة محو الأمية البصرية بالتعليم البصري،
المعهد العالي للتعليم البصري،
كلية محو الأمية البصرية بالتعليم البصري.

وأنا في نظرهم ميت؟؟!

والآن، وأنا أقف على حافة نهاية عمري، اكتشفت أن طبيعة القهر البشري واحدة عند أناس من أهل قريتي، وأناس يديرون العالم... وكأن العالم هو قريتي الصغيرة: بها وحوش بشرية تعمل على القتل، وبها رجال الله... النور، الذين يعملون على بث النور الكوني، وإحياء من يحاول الآخرون التسبب في موتهم. وفي نهاية عمري، بعد كل هذا النجاح العالمي، اكتشفت لماذا أنا ميت؟ لأننا نعيش في وطن الأموات... لأن الأموات فيه هم الذين يديرون حياة الأحياء بين الحياة والموت.

في نهاية عمري

وأنا أقف الآن على أطراف نهاية حياتي، أكتب كل ما أتذكره مما قد يكون مفيدًا للأجيال الجديدة، وليس به أية حسابات، لأنني أعلم كل العلم أن أيامي قليلة وسأكون بين يدي الله قريبًا. ولن أستطيع هنا أن أقدم كل إبداع حياتي، بل بعض ما أستطيع توصيله إلى الأجيال الجديدة، لأن هناك مشاريع عملاقة تحتاج لنشرها إلى ميزانيات عملاقة... وهنا نتركها للزمكان القادم. قبل الدخول في أعمال الشعرية والعلمية الكاملة، ثلاثون عامًا من العلم والإبداع والحياة بكل ما تحمل الكلمة، عليّ أن أقدم لكم تصديرًا صدرته في أول رواية شعرية لي، وهي رواية «مخ وأعصاب»، وهذا التصدير هو خير معبر عن حياة الإنسان المبدع بشكل عام:

«هذه الرواية الشعرية تبدأ من الدنيا وتنتهي عند الآخرة.

انتبهوا: السرعة مراقبة من الرادار.

وحين تولد، خاصة في مصر أو الوطن العربي، يخلقك الله حرًا طليقًا، عاري الجسد والروح، وفجأة تجد نفسك محاطًا بكمية عيون تراقبك في كل ما تفعل، وتجبرك على أن تفعل ما يفعلون من سلوكيات قد لا تحب أن تفعلها.

بداية من مراقبة عين الأم، إلى عين الأب، إلى عين الأشقاء، ثم العائلة، إلى عين الجيران، إلى عين الشارع، إلى عين المجتمع، نهاية بعين الدولة ورجال الدولة، كما يطلقون عليهم.

وخاصة إذا كنت مبدعًا أو عالمًا متفردًا، فتحاط بعين الأجهزة الأمنية التي لا ترحم ولا تترك رحمة ربنا، وربما تكون الأجهزة تحت عين الأجهزة العالمية، وتنفعل ما تريده.

وإذا كنت مبدعًا محليًا، فتحاط بعين أمنية محلية، وإذا كنت عالميًا، فتحاط بعين أمنية عالمية.

والويل كل الويل إذا لم تنفذ ما يطلبونه منك... يتحولون جلدًا على عظام حياتك، وقد يؤدي حصارك إلى التصفية الجسدية، ولا يتركون عائلتك، وتحاصر حتى آخر نفس في حياتك... وما بعد حياتك.»

وهذا ما ظهر عندي حين صدر أول ديوان، وتمت ترجمته إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ويتم تدريسه بالجامعة الأمريكية، وهو ديوان رغاوي الألم.

وحتى لا نسبق الأحداث، أقول:

كل إنسان له عمر واحد فقط يعيشه من الألف إلى الياء، طويلًا كان أو قصيرًا.

أما أنا، فقد عشت عمريين:

عمر قبل الجاهلية «أقصد جاهليتي»، وعمر بعد الجاهلية، أي عمر ما قبل أن أتعلم القراءة والكتابة في سن السابعة والعشرين من عمري، عام ١٩٨٢، حتى عام ٢٠٢٤، بعد أن تعلمت وخرجت من كوكب الظلام إلى كوكب النور، بكل ما يحمله من نار... مصرية، وعربية، وعالمية.

عمر الجاهلية

علينا أن نتطرق هنا أولاً لعمر الجاهلية، خاصة حين كنت طفلًا مثل كل الأطفال في قرية ريفية، وهي قرية نادر -الشهداء- منوفية، وحلم حياتي هو دخول المدرسة مع ابنة الجيران، حتى نرسم معًا... ونتعلم معًا...

وفي ليلة سوداء مظلمة وممطرة، جاء خفير القرية ليقول لوالدي:

- ابنك مطلوب للمدرسة غدًا حيًا أو ميتًا.

ولكي ينجو والدي من كتابة محضر ضده، قال:

- اكْتُبْهُ ميتًا!

- مستقبل ابنك... حرام؟

- ما تقطعش قلبي أكثر ما هو متقطع يا شيخ الخفر... هو أنا قادر أوكل

إخوانه حتى أعلمه؟!

كان نفسي يتعلم والله، يا شيخ الخفر...

سقطت على الأرض، وأسنانِي الصغيرة تغرز في لحمها الطيني، حتى تنشق وتبتلعني من كل هذا العالم الذي حكم عليّ بالموت... ولم تنشق؟؟.

وفي اليوم التالي، في الخامسة صباحًا، توجهتُ إلى المدرسة بأثوابي المتسخة، ووقفتُ في الطابور بجوار حبيبتي ابنة الجيران، حتى اقترب مني الناظر، وهو يخرجني من الطابور، ويقول لي:

- أنت ميت؟

..... أنا حيّ

...أنت في ملف المدرسة... ميت

ثم نظر إلى الفراش، الذي حملني بين ذراعيه وكأنه يحمل ذبابة، وقذف بجسدي الصغير إلى الشارع... لأنني «ميت».

وأنا أدخل مرة بعد مرة... وهم يلقون بي في جوف الشارع... والخيزرانة تبصم على جسدي الصغير.

طارت قذامي الصغيرة إلى سطح بيتنا ساعة الغروب، وعينا تشقان كبد السماء، وقررت أن أرسل رسالة إلى الله عز وجل، وكأنني أراه في كبد السماء، وأنا أقول:

- أنا اتظلمت يا رب. ظلموني يارب ظلموني

«كتابة الصورة بالصورة»

«أنا إتظلمت يارب ومش عايز أعيش في الدنيا دي، خدني عندك وحطني في النارنارك أرحم من نار قریتی.»

هنا، أحسست بيد تشبه القوة الحديدية وهي تحمل جسدي وتضمه إلى صدرها برفق، وعيونه تسقط سيولاً من الدموع على وجهي. واكتشفت أنه والدي.

علمني والدي مهنة نجارة السواقي، مهنة الآباء والأجداد، حتى وصلت إلى سن السابعة والعشرين. وهنا، قررت أن أتعلم القراءة والكتابة، وكان ذلك في عام ١٩٨٣

أدركت حينها مصدر سيول الشعر التي تسكن روحي: جدتي. فقد كانت «مُعَدَّة» في المآتم، ترتزق من هذا العمل، وكانت تأخذني معها إلى بيوت الموتى، فأستمع إلى العَديد، وأرى الدموع تتساقط من عيون أهل الفقيد. لم أكن أعلم وقتها أن ما أسمعه هو الشعر.

الآن، السواقي تنقرض، وتحل محلها «المواتير»، وعليّ أن أجد بديلاً يعول والدي المُسن، ويُلبي حاجات والدتي، ويُعين على زواج شقيقتي التي فاتها قطار الزواج.

هكذا رأيت قصتي مأساوية، فقررت أن أكتبها. وكتبتها في ثلاث صفحات «فلسكاب»، وجلست على باب الدار في انتظار قدوم ناظر المدرسة الخلق، مولانا شاعر عطية الرفاعي.

قرأ ما كتبته وقال: «هذا نثر.»

سألته: «يعني إيه نثر؟»

قال: «سرد.»

قلت: «يعني إيه سرد؟»

قال: «سجع.»

قلت: «يعني إيه سجع؟»

قال بغضب: «يعني شعراً!»

قلت: «يعني إيه شعر؟»

نظر إليّ وقال: «ولدا! إنت حاستعبط؟ اتعدل لأعدّلك. أنا جاي هلكان ومش قادر. إنت تعليمك لسنة كام؟»

قلت: «ما دخلتش مدارس خالص، وأنا اللي علّمت نفسي بنفسى.»

قال: «سبحان الله، ما كتبته يا بني يقترب من الشعر. تعال معايا.»

توجهنا إلى بيته، وهناك أهداني ديواناً لمولانا بيرم التونسي. وقال:

«اكتب مثل هذا الشعر.»

قلت في داخلي: ناظر مدرسة الذي يعاقبني في الطابور أمام حبيبتي، ويطردي أكثر من مرة لأني «ميت»، وآخر يحييني بعد كل هذا العمر؟ رحمة الله عليه، أستاذنا شاعر عطية الرفاعي.

قضيت خير طفولتي وشبابي في الحقول، أصلح السواقي بين قريتي والقرى المجاورة، حتى تشبعت روجي بكل ألوان السماء.

السماء كانت أهم معرض فن تشكيلي عشت فيه من الفجر حتى الغروب، وحتى سواد الليل. عشت في أعظم إيقاع كوني: إيقاع السواقي مع ألوان السماء ولوحاتها، مع عديد جدتي.

من هنا، بدأت أكتب «الصورة بالصورة»، وجين تكتب الصورة بالصورة، تكتشف أن الصورة المكتوبة تتحول إلى صور متعددة الأبعاد.

«أدباء قريتي»

تعرفت على مجموعة من أدباء قريتي، كانوا دليلي وشمعتي المضيئة. جميعهم كانوا في سنواتهم الدراسية الأخيرة، يكتبون الشعر منذ زمن بعيد، ويتوجهون كل نهاية شهر إلى القاهرة، لحضور ندوات كبار الأدباء: من محمد جبريل إلى حزين عمر، إلى يسري العذب، وختامًا بصالون شيخ النقاد عبد المنعم تليمة أهمهم الشاعر عبد الوهاب داود رئيس تحرير جريدة الدستور الآن والثاني الروائي سمير غريب الذي هاجر إلى فرنسا.

كنت أستعير منهم الكتب، وأستمع إلى حكاياتهم عن تلك الندوات الثقافية التي تُعلم الإبداع والنقد. ومن خلال اطلاعي على دواوين الشعر من جيل الستينيات حتى أحدث الأجيال، تعلمت كثيرًا عن بناء القصيدة في مختلف الاتجاهات.

لكن شيئًا ما كان يخنقني... القلب الشعري العام.

كان مميتًا بكل ما تحمل الكلمة من معنى. ومن المستحيل أن أضع شعري في قالب كهذا.

شاعريتي ليست مقيدة؛ هي تحمل فضاء السماء، وإيقاع العديد، وتفيض بحرية الصورة.

وجدت راحة عيني في القوالب البصرية: الفوتوغرافيا، التشكيل، السينما، الرواية.

وبمرور السنوات، سيقدمني للعالمية الأديب الكبير نجيب محفوظ، وسأصادق كبار المبدعين: قصاصين، روائيين، فنانين تشكيليين، مصورين، ومخرجين وسياسيين.

ومن هنا، بدأت أفرغ شعرية واقعي في قالب جديد، حتى أتممت أول ديوان لي، وكان بعنوان: «توب الحزن الأبيض»، لكنه كان مباشرًا وضعيفًا، فلم أضمه إلى أعمالي.

ثم جاءت لحظة التمكن، حين أنهيت ديوان «رغاوي الألم». صدر عن سلسلة «أصوات أدبية» من الهيئة العامة لقصور الثقافة في ١٩٩٥، وكان له صدى إعلامي كبير.

«دراسة الخط»

سمعت خطيب المنبر يقول: «قال الإمام علي: الخط الحسن يزيد الحق وضوحًا. وتعلموا الخط، فإنه من مفاتيح الرزق.»

وبيتي كان في أشد الحاجة إلى الرزق.

مهنة نجارة السواقي انقرضت بالفعل، ولم يعد أمامي إلا أن أبحث عن مهنة بديلة، تجمع بين الرزق والشعر، فكان الحل: «الخط».

بدأ الأمر حين قرر أدباء قريتي إرسال أعمالنا الشعرية لمجلات القاهرة. قلت لهم: «اعفوني. أنتم متعلمون، تكتبون من عشر سنوات، وتذهبون للندوات. أما أنا، فأصلح السواقي. وأكتب من عام فقط.»

لكنهم لم يعفوني، وأرسلوا قصائدنا جميعًا.

وفجأة، نُشرت قصائدي في مجلة الثقافة الجديدة، وأخبار الأدب. كانت سعادتي لا توصف، وكأني حصلت على نوبل.

لكن وجهه أصدقائي امتلأت بالغضب.

كيف تُنشر قصائد «نجار سواقي» تعلم القراءة من عام، ولم تُنشر لهم. وكيف يكون شكلنا أمام أهل قريتنا؟

أعلنوا عليّ حربًا نفسية خفية. حتى الشاعر الخطاط الذي كان يكتب لي القصائد، بدأ يتنمر عليّ.

أدركت أنني لا بد أن أكون نفسي.

توجهت إلى مدينة شبين الكوم، واشترت كتب تعليم الخط، ولم أفهم منها شيئًا.

ثم التقيت بشيخ الخطاطين. سألتني: «إنت خريج إيه؟»

قلت: «دبلوم تجارة.»

.....يستحيل! دبلوم تجارة وتبقى خطاط؟

:اعمل اللي عليك، والباقي على الله.

وبعد فترة قصيرة، كتبت ولم يصدق أنه خطي.

اعتمدت على نفسي في كتابة لافتات الانتخابات ولوحات الطلاب في قريتي، وهنا بدأت الكارثة.

كيف يتعلم هذا النجار القراءة والكتابة، ثم الخط، وينادونه بالأستاذ؟

المدرسون شنّوا عليّ حربًا شرسة.

لكن الرزق دخل البيت من أوسع أبوابه.

وفي الشهر الثالث، قال لي شيخي: «استعد، ستجلس مع أعظم خطاطي العالم.»

وكان هو: خضير البورسعيدي.

وقدمني له شيخي قائلاً: «هذا سيكون أهم خطاط في مصر خلال عام.»

قل وجه نظرك عن الخط يا سعدني للأستاذ خضير

قلت: «في خط حضرتك أم في خطوط شيوخ الخط؟»

غضب شيخي، لكن خضير انفجر من الضحك، وقال: «قل ولا تخف.»

قلت: «كبار الخطاطين يعانون من أمية بصرية. يجودون الخط، لكنهم يتجاهلون الخلفية.

الخط لا يكون بالبصر فقط، بل بالبصيرة أيضًا.

اللوحة لا تُقرأ بخطها فقط، بل بخلفيتها. علينا أن نكتب الخلفية في أذهاننا، قبل كتابة الآية أو الحكمة.»

فقال خضير: «الله! الله عليك يا ابني.»

وهكذا، تفتحت مسام روعي فرحًا، وبدأت رحلتي:

وفجأة، انفجر مُعلّمي انفجار البراكين وهو يقول لي:

- إمشي من قدامي حالا، يا فلس، يا ابن الفلس!

قلت له في غضب:

- هو أنا قاعد في جنة أبوك؟ ماشي... أنا ماشي!

تذكّرت كل هذا في نهاية عمري، في ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٣، وأنا متجه لافتتاح معرض «شيخ الكاريكاتير» - صديق عمري تاج - في بيت السناري بالسيدة زينب.

وكان من المفترض أن يفتتحه، كما أكدت الجرائد المصرية والعربية، عميد الخط العربي وشيخ الخطاطين. خضير البورسعيدي.

لكن فجأة، استقبلني الفنان تاج وهو يصرخ بهستيريا:

- أستاذ خضير! أرجوك! أرجوك تترك عبقرى مصر يفتتح المعرض قبل ما أموت... ابني سعدني السلاموني!

صاحب أهم مشروع علمي أنجبته البشرية، صاحب محو الأمية البصرية! كيف أفتتح معرضًا في وجود أهرامات مصر؟ وهرم الأهرامات، مولانا خضير البورسعيدي؟!

اقتربت من الكاميرات، وعند لحظة الإفتتاح، أعطيت المقص لخضير، وأرسلت يدي اليمنى لتقبض على الشريط مع جموع الأيادي، وكأني أفتتح، حتى لا أغضب الفنان الكبير عبد العزيز تاج.

الرحيل إلى القاهرة

«١٩٨٤»

حين قررت أن أتعلم القراءة والكتابة في سن السابعة والعشرين من عمري، وكان ذلك عام ١٩٨٤، أغلقت باب غرفتي على نفسي وكأنني مقبل على ارتكاب جريمة قتل. أنظر إلى الورقة الفلوسكاب، فأراها بحرًا غويظًا سوف يبتلعني إن كتبت حرفًا عليها. أنظر إلى القلم، فأجده مكوكا فضائيًا سوف ينفجر بي إن كتبت به حرفًا. أنظر إلى قبضة يدي، فأراها أكبر من قدم الفيل من كثرة تقطيع الحديد.

هكذا كان يُخيّل إليّ. فما بالكم الآن وأنا أرحل من قرية لم تصلها الكهرباء إلى «باريس مصر وهى القاهرة». سأبدل الجلاية بالقميص والبنطلون، وأبدل البلغة بالحذاء ذي الرباط، وسأغير كل قوانين حياتي، وأنا خارج من كوكب ريفي إلى كوكب المدينة. وسأعيش بقانون المدينة، كيف؟ وأنا لا أملك أي شهادة أكاديمية تذكر، والخط الذي كنت أرتزق منه وأعول به أسرتي لا يناسب وكالات خطوط القاهرة.

في قريتي تبدّل لقبى من «الأسطى سعدني السلاموني» إلى «الخطاط»، ورغم أنف بعض المدرسين الذين حاربوني، وقالوا: كيف يتجرأ نجّار السواقي ويتعلم القراءة والكتابة، بل ويجرؤ على دراسة الخط؟ أليس هذا تجاوزًا في حقنا وحق العلم والتعليم؟

وهنا في القاهرة، أبحث عن لقب «شاعر». والشعر لا يُنفق على

عصفورة، فما بالكم بـ «الأسطى الخطاط الشاعر سعدني السلاموني»؟ لم ترحب بي القاهرة، بل طرحتني على أرصفتها بكل قسوة، سنين بعد سنين وأنا تحت عين الرادار. وفي اليوم الثالث سُرقت محفظة نقودي وبطاقتي التي تحمل مهنتي: «نجّار سواقي». وها هي بطني خاوية من ثلاثة أيام، لم أذق فيها طعم النوم ولا الطعام.

أمام محطة مصر جلست ألتقط أنفاسي الأخيرة، لا أملك إلا ديواني الأول «رغاوي الألم» المرفوض نشره من كل المؤسسات، وقلم، ورزمة من الورق الأبيض. حتى كتبت قصيدة فجر أمس في الشارع تقول:

الشارع فإاض
زي بطني بالظبط
وعيني بتقلب الطعمية
في طاسة الزيت من الجوع
ثم قصيدة في جنينة ميدان التحرير تقول:
وأنا راقد في جنينة التحرير
كانت دموعي على خدي متلجة
الظاهر م البرد
ما أعرفش ليه
كنت باحسها
سخنة وحدقة وليها طعم
ما أعرفش ليه
شلتها على طرف صباي
وبصيت منها على العالم

السجن أحن عليّ من حياتي

وفجأة، قدّم لي رجل صعيدي بطاقة ابنه لأكتب له طلب تعيين لرئيس هيئة السكة الحديد. كتبت الطلب، فمدّ لي يده بعملة ورقية فئة الخمسة والعشرين قرشًا. جنّ جنوني من هذا الفعل الشنيع، وقررت أن أوبّخه، وأقول له: «أنا لست متسولاً»، لكن نظرتُ فوجدت طابورًا طويلًا، كل منهم يحمل ورقة نقدية ويحتاج كتابة طلب. انهالت عليّ عشرات الطلبات، وامتلأت جيوبى بالنقود.

ومن هنا، سوف اعمل كاتبًا عموميًا أمام المحاكم والوزارات، لكن يا فرحة ما تمت. لاحقني أمن المحاكم والوزارات، فرجعت إلى مسكني، وهو جنينة التحرير، وهناك تعرفت على المرضى النفسين المطرودين من المحطات، ولأول مرة أحس أنهم أهلي، فهم ضحايا المجتمع القاتل مثلي. ومن هنا، اكتشفت أن كل مريض نفسي هو كون قائم بذاته، وكل كون له مفتاحه.

ومن هنا، كتبت أول رواية شعرية باسم «جنون رسمي»، والتي ستُنشر لاحقًا في الهيئة العامة للكتاب ضمن سلسلة «كبار كتاب مصر»، ولها صدى إعلامي كبير بعد نشر ديواني العاشر. لكن أرجوكم، لا تجعلوني أسبق الأحداث، فالأمن لم يسمح لي أن أكون كاتبًا عموميًا، وكان الفقر

والمرض والجوع يهاجمني بلا هوادة.

اشتريت جريدة الأهرام، وأنا الذي يشتريها يوميًا لمتابعة إعلانات الوظائف. وحين طلبت القوى العاملة دفعة جديدة للتعيين، اشتريت نموذج ٥٢، وذات مرة كنت أبيعها لأحد الزبائن، وكان خريج كلية آداب، ترجاني أن أكتب له الطلب، وأثنى على خطي، ثم أعطاني مبلغًا خياليًا. بعد أن كتبت له، سألتني: «بالله عليك، أنت خريج إيه أكيد فنون جميلة؟»

قلت: «أقسم ما دخلت مدارس، وكنت نجار سواقي.»
وكأنني أطلقت عليه رصاصة: «نجار سواقي يكتب لخريج آداب؟! هات يا ياد الفلوس... هاهنا إياك!»

من هنا، قررت ألا أعلن أبدًا عن حقيقة تعليمي أمام أي زبون. أمن القوى العاملة طردني من أمامها بناء على شكوى خريج كلية الآداب. وفي صفحة الأهرام وجدت إعلانًا عن التنسيق بـ «بين السرايات»، فاشتريت بضاعة وتوجهت إلى هناك. وأمام الباب الرئيسي جلست ببضاعتي، لا أملك جنيتها واحدًا، وانهاالت عليّ الزبائن. وفجأة جاء شاب، وجهه كله شوارع، وقال: «أنت بتعمل إيه يا أخ؟ ما تعرفش إن دي منطقة المعلم فتحي عبد الشكور؟»
قلت: «ملعون أبوك على أبو فتحي عبد الشكور!»
جملة خرجت من فمي فجأة ويا ليتها ما خرجت!

اختفت الشمس من السماء رعبًا مما سيحدث لي من رجال فتحي عبد الشكور. نظر إليّ ضابط الحرس الجامعي، وعيونه تقول: «هناك إنسان على الكرة الأرضية يسب فتحي عبد الشكور، الذي يدير كل مسجلين خطر مصر من داخل السجن ومصنف كأكبر مسجل خطر دولي؟!»
وفجأة ظهر شقيقه، وجهه حارات وشوارع وخياطة، وسبني في شرف أمني، فسببته في شرف أمه، وطارت عشرات السنج والسيوف فوق رأسي، لتنهال على جسدي النحيف.
وغطى شقيق المعلم فتحي جسدي بجسده ليحميني، حتى تدخل دعاء الوالدين، وقالوا لفتحي في السجن: «اسمه سعدون المجنون، وليس له عقل.»

أصي فتحي شقيقه أن أعمل معهم، فأدرت كل ترايبيزات الشوارع. ولبلاً، أحضر ندوة دكتور يسري العزب والأستاذ جبريل والأستاذ حزين عمر وصالون شيخ النقاد أستاذ دكتور عبد المنعم تليمة. خرج فتحي عبد الشكور، وصادقني، وتحولت إلى ذراعه الأيمن، والجميع يلقبني

بـ «سعدون المجنون».

ثم تم القبض على عبد الشكور بتهمة قتل. وفي اليوم التالي جاءت فتاة من بنات الحور، عيونها كلها عشق، وهي ابنة وزير سابق، تسأل عن التنسيق والأوراق المطلوبة. احتلت كل مسام روحي، كما احتلت أنا مسام روحها.

والحق أقول: أنا أشم رجال الحكومة بأنفي من على بعد أميال، لكن جمال هذه الفتاة طوّق عيوني. فرحت، لأنني سأرتاح من حبيبتي «هالة» التي تعشق في اليوم الواحد خمسة غيري.
راحت الفتاة تكتب رقم هاتفها، لكن فجأة جاء رئيس المباحث بحملته يتخفى في ذية المدنى، وصفعني على وجهي، وقال: «بطاقتك يا ابن.....»

عَرِقْتُ في بحر من الدهشة، وهي تنظر إليّ وكادت تبكي. حتى جاءت الصفحة الثانية، فقلت: «حاضر حاضر!»
نزعتُ الترايبزة، ويدي طارت بكل قوتها على وجه رئيس المباحث. راحت عشرات الأيدي تنهال على جسدي من المخبرين والعساكر والظباط والزبائن والباعة، كل من يمر يضرب.
سقط جسدي كفتلة الضبارة، وجمعه وفيدوه بالكلبش.
وفي المديرية، طار رئيس المباحث عليّ وهو يكيل لي الضربات، ولم أستطع أن أرد واحدة.

ثم حبسوني مع من تم تحويل أوراقهم للمفتي، والمقرّر إعدامهم. تشاجرت معهم جميعًا، حتى ناداني كبيرهم، «المعلم جبريل»، الذي سوف يقدم بعد خروجي بأيام.

عرف مني ما حدث، واحتفوا بي لأنهم يكرهون الشرطة.

كتبت لهم أغاني، ولحّنتها، وكنا نغنيها يوميًا:

كلاب على الباب
واقفين حرس واقفين
وإحنا الغلابة المسجونين
المخرسين

عشت أيامًا من أجمل أيام عمري.
 فجأة، جاء «فوزي» صاحب الأربعة وعشرين قضية قتل، ووضع برشامة في فمي، وقال: «ابلع.»
 قلت: «إيه دي؟» قال: «برشامة - حَضَر كفنك -.»
 قلت: «توكلت على الله.»
 أبتلعته، وأطاحت بعقلي.
 رحت أدق على باب الرزقانة، وأقول: «أنا مضرب عن الطعام يا أبناء.....»
 سمعني المأمور.
 جاء ضابط صغير ومعه عدة عساكر وسندوني حتى مكتب المأمور.
 وجهي مشوّه من الضرب، وأثوابي ممزقة، لا أستطيع أن أكون جملة.
 بحث في جيبني عن برشام، فوجد نوتة الهواتف، وبها أرقام: أنيس منصور، وعبد الرحمن الأبنودي، وجمال الغيطاني، وثروت أباظة...
 قال بدهشة: «إنت شغال إيه؟»
 قلت: «شاعر، وبكتب صحافة بالقطعة.»
 سقط في بحر من الدهشة.
 قال: «تعرف صبري بيه موسى؟»
 قلت: «أعرف صبري موسى.»
 صرخ في وجهي: «صبري بيه موسى؟»
 قلت: «خلاص، صبري بيه وباشا موسى.»
 قال: «كلمه.»
 لم أستطع طلب الرقم.
 طلبه هو، وأعطاني السماعه.
 وحين سمعت صوت العم صبري، صرخت بأعلى صوتي، وكأني غريق التقى بقشة:
 «الحقني يا عم صبري، ضربوني يا عم صبري، أنا مضرب عن الطعام يا عم صبري!»
 صرخ: «مين اللي ضربك يا سلاموني؟ مين؟»
 قلت: «أولاد الكلب، يا عم صبري.»
 خطف المأمور السماعه، وراح يعتذر له عشرات المرات.
 ثم حملني تحت ذراعه، وغسل وجهي بالماء، وألبسني قميصًا وفانلة جديدة، ودسّ مبلغًا كبيرًا في جيبني.
 ثم أجلسني على مكتبه، وراح يحرق ملف القضايا الملفقة لي، لأن شقيقه اللواء متزوج من شقيقة العم صبري.

راح يقسم أنه سيأخذني داخل البوكس ولن يتركني إلا على «سرير نومي»، وكررها كثيرًا...
 لكن كيف؟ وأنا لا أملك سريرًا ولا يُسمح لي بالنوم؟
 ومن هنا، قررت ألا أعود للشارع مرة أخرى.

**** ١٩٩٣ ****

استضافني الشاعر والكاتب الصحفي بالأهرام إبراهيم داود لعدة شهور في شقته، وهناك تعرفت على الرموز الأدبية حتى التقيت بالشاعر هشام قشطة رئيس تحرير مجلة «الكتابة الأخرى»، الذي عرّفني على رموز الوطن في شتى المجالات. كما استضافني في شقته عدة شهور. وتعرفت أيضًا على الفنان الكبير أستاذ التصوير صلاح عناني، الذي عرّفني على القامات التشكيلية الكبيرة مثل عادل السيوي ومحمد عبلة وفاطمة إسماعيل وجورج بهجوري. كان يأتي لي يوميًا بكتالوجات كبار فنانين العالم ليعلمني كيف أقرأ اللوحة. وكل ما شاهدته من كتالوجات عالمية لا يساوي لوحة واحدة من لوحات السماء الكونية التي شاهدتها وهضمتها وأنا أصلح السواقي. وكان يؤيد وجهة نظري تمامًا، واستمرت صداقتنا أكثر من عشرين عامًا، كنا نلتقي فيها يوميًا لنجلس ساعات حتى الصباح في حضرته وحضور رموز الوطن العربي من مريديه في شتى المجالات.
 وما عاشه عناني من حروب وانتفاض لم يعيشه فنان من قبل. كان يتم تجاهل جوائزته العالمية إعلاميًا، ولم يكن يهتم. وسُيَضِّق الخناق على كل معارضيه حتى عام ٢٠٢٤، لأنه العبقرى المصري الذي لم يكن صديقي فحسب، بل شقيقي الأكبر الذي لم تلده أمي. تعلمت منه ما لم تستطع الجامعات والكليات أن تعلمه لي: الوطنية أولاً، ثم الثقافة البصرية. كان أول من زرع بذرة مشروع «محو الأمية البصرية» في روحي، وسيتحول المشروع إلى مشروع عالمي.
 وأنا مطارِد مصريًا وعربيًا وعالميًا، كان جيب صلاح عناني خزنتي اليومية حين فصلوني من عملي كمشرف ثقافي بالهيئة العامة لقصور الثقافة.
 وسيأمر الرئيس حسني مبارك وزير الإعلام بتخصيص برنامج باسم «قهوة عناني»، يرسم فيه أمام الكاميرا، ثم سيختارني عناني لأكتب ما يرسم شعرًا على الشاشة. انتهينا من إعداد ثلاثين حلقة، ولكن لأنه عناني وأنا تلميذه سعدني السلاموني، تم إلغاء البرنامج. من وراء إسمي.
 في العام التالي، حصلت على أول عضوية وهي عضوية أتيليه القاهرة، الذي

كنت أحلم بدخوله ولو لمرة واحدة. وكان رئيس مجلس الإدارة الفنان الكبير أستاذ دكتور حسن الأعصر، أول من شجعني في مشروعي العلمي «محو الأمية البصرية» بعد عناني. وفي السنوات التالية، ستكلف الطالبة عبير سالم بالحصول على رسالة الدكتوراه في محو الأمية البصرية، لتكون أول دكتوراه تمنح من محاور المشروع. كل هذا وأكثر سيحدث في السنوات القادمة

ديوان «رغاوى الألم»

*** ١٩٩٧

السنين تمر وأنا أدور في كعب دائرة على دور النشر والمؤسسات، والكل يرفض نشر الديوان. وحين أرصد ما ينشر من دواوين الشباب، أجد أن ديواني لا يقل قوة عن شعرهم، بل يزيد، لأن شعرهم جاء من رحم الدواوين المنشورة، أما شعري جاء من لحم الحياة ودمها. وهذا ما سيقوله النقاد الكبار فيما بعد.

وفي يوم، تملكني الإحباط وسقطت بين خيارين: إما أن أنتحر، وإما أن أعود إلى قريتي شاعرًا كبيرًا، وهكذا قلت لشيخ المترجمين مولانا طلعت الشايب، الذي خطف الديوان من يدي وهو يصرخ: «كيف تنتحر؟ أنت شاعر وسيكون لك مستقبل عظيم!» وطار به إلى الأديب الكبير جمال الغيطاني رئيس تحرير جريدة «أخبار الأدب»، فنشر الديوان على حلقات ملونة. وكان أول ديوان ينشر بهذا الشكل في تاريخ الجريدة. على الجانب الآخر، نقاد هيئة قصور الثقافة رفضوا نشر الديوان مرارًا، حتى التقيت بمدير عام النشر الشاعر الكبير محمد كшиك، الذي قال لي جملة لا أنساها:

«اسمع يا بني، أنا قرئت ديوانك وحانشره على مسؤوليتي، لأنك يا إما عبقرى بكل ما تحمل الكلمة، وإما مجنون بكل ما تحمل الكلمة!»
ونُشر الديوان في سلسلة «أصوات أدبية»، وكان له صدًى إعلامي دولي كبير. وتمت ترجمته إلى عدة لغات، ثم درسته الأستاذة الدكتورة سامية محرز «حفيدة الشاعر العظيم إبراهيم ناجي» في الجامعة الأمريكية، وكان أول ديوان عامية يُقرر على طلبة الجامعة الأمريكية ويُترجم إلى عدة لغات عام ١٩٩٧

*** الأديب الكبير إبراهيم عبد المجيد ***

تعرفت عليه قبل أن ألتقي به، من حكايات أدباء قريتي عبد الوهاب داود وسمير غريب، ومدوني بروايته العظيمة «بيت الياسمين»، وهي رواية مكتوبة بالشعر. لم أكن أعلم أنني سأرحل إلى القاهرة وألتقي بهذا العظيم الذي سيصبح لي أبًا وأخًا وصديقًا وسندًا.

جاء إلى مقهى المثقفين ببذلته الأنيقة، وأخذني إلى الجامعة الأمريكية، وهناك قدم لي أعظم وجبة، وأنا لا أعلم أنه حصل على جائزة نجيب محفوظ حين كانت الجائزة عالمية. وحين دخلنا من باب الجامعة، طارت عليه عشرات الكاميرات من جميع أنحاء العالم. سقطت في بحر من الندم والدهشة، وقلت في سري: «صديقي كاتب عالمي وأنا لا أعلم؟!» توجهت إلى الباب الخارجي للجامعة، وفجأة قفز إبراهيم عبد المجيد من أمام الكاميرات وهو يقول: «سلاموني، ما تمشيش!» وصعدوا جميعًا إلى المنصة، يتقدمهم العريس الكوني صديقي الأديب العالمي إبراهيم عبد المجيد ليسلم جائزته. بكيت لأن الله رزقني بأب عالمي.

وحين تسلم الجائزة، توجهنا جميعًا إلى الجريون، في حضور نجوم من كل أنحاء العالم، وعلى رأسهم رئيس الجامعة الأمريكية الذي كان ينظر إليّ بدّهشة، وعيناه تتساءلان: «من هذا الكائن البشري الغريب؟!» وأنا أرد بنظرات التجاهل. مال على أذن إبراهيم عبد المجيد للحظة، ثم قال بصوت عالٍ: «سعدني السلاموني ابني، شبه ابني، وأعظم شاعر في مصر!»

سقط رئيس الجامعة في بحر الدهشة: «كيف يكون هذا شاعرًا عظيمًا؟!» وطلب من إبراهيم أن ألقى قصيدة. ألقيت أول قصيدة، فانطلق التصفيق الحار يضرب سقف المكان. ثم طلب الثانية والثالثة والرابعة حتى نهاية الديوان. وفجأة قفز رئيس الجامعة وهو يضمّني إلى صدره ويقول: «مستحيل! مستحيل يكون فيه شاعر عبقرى مثلك!»
قالت الدكتورة سامية محرز «أستاذة ورئيسة قسم اللغة العربية بالجامعة الأمريكية»: «علشان كده هادرس هذا الديوان على طلابي بالجامعة الأمريكية». ومنذ ذلك اليوم، أصبح إبراهيم عبد المجيد توأم روعي الذي ساندني في إبداعي وعلمي وكل حياتي.

** من نجار سواقي إلى كاتب وعضو اتحاد كتاب

مصر**

مشكلة حياتي أن مهنتي في البطاقة كانت «نجار سواقي»، مما سبب لي ألماً لسنين طويلة. فمزقت البطاقة وجعلت بطاقتي ديواني الذي يحمل شعري وصورتي الشخصية وختم هيئة قصور الثقافة. لمدة عام، كان أعظم «كارنيه» حتى تعرفت على والدي الروحاني الأديب الكبير عبد العال الحمامصي، الذي كتب عن الديوان مقالاً فارحاً وطلب مني صورة شخصية.

وجاء بعد أسبوع ليسلمني أعظم كارنيه في حياتي: كارنيه نقابة اتحاد كتاب مصر. وغيّرت المهنة في البطاقة إلى «كاتب»، وكأنني حصلت على جائزة نوبل. والمدد ههش أن كمائن الشرطة كانت توقفني يوميًا، وحين استخرجت الكارنيه لم يوقفني كمين واحد.

ولكن في السنوات القادمة، ستتصدر دواويني المشهد الثقافي المصري والعربي، وسأعلن عن مشروع علمي «محو الأمية البصرية» «علم جديد وتعليم جديد». وسيتم حصاري عالميًا حتى لا أعلن عن هذا المشروع، ثم يتم تعذيبي بالأقمار الصناعية، وما خفي كان أعظم. ولم أستجب، فسدوا شرايين قلبي، ومنعوني من تناول العلاج، ثم قطعوا منحة التفرغ وأنا بين الحياة والموت وفصلوني من نقابتي نقابة اتحاد كتاب مصر. هاتفتم وزيرة الثقافة الدكتورة إيناس عبد الدايم لعلاجي، وكلمت وزير الصحة على الفور الذي أنقذني. خرجت من عملية القلب المفتوح لأجد رئيس مجلس إدارة نقابة الاتحاد ويدعي علاء عبد الهادي قد فصلني من عضويتي دون اجتماع مجلس الإدارة ودون ذنب، بأوامر من الرجل الردار الذي يعمل على تصفيتي جسديًا.

لقائي بالأديب العالمي نجيب محفوظ

برغم النجومية التي حققها نشر الديوان الأول، وبرغم حاجتي المادية في الحياة القاسية، فإن نجوميتي جعلتني أتخلى عن مهنة كاتب عمومي أمام المحاكم والوزارات، وأنا أعلم بأن الشعر لا يُغني ولا يُشبع من جوع. حتى هاتفتم الدكتور جابر عصفور، رئيس المجلس الأعلى للثقافة، وشكوت له حالي، وختمت المكالمة بقولي: «كيف أكون شاعرًا تقدمه الدولة ويعاني قوت اليوم؟»

قال لي: «أنا في انتظارك في الصباح.»
توجهت إليه بالمجلس الأعلى للثقافة، وعيّني بعقد مؤقت كمشرف

ثقافي لمدة عام.

وفي يوم، لم أذق طعم النوم ولا الأكل، وليس معي سجاثر. وكانت أقدامي هي التي تقودني إلى حيث تشاء. وفجأة، استوقفني صديقي الخلق وتوأم روحي، الأديب الموسوعي أحمد سعيد:

- «إنت فييييييييين؟»

- «في الدنيا يا أحمد... وفي قرفها.»

- «نجيب محفوظ عايز يشوفك حالا، حيّ أو ميت!»

قلت بدهشة: «نجيب محفوظ مين؟»

«ينهار إسود! نوبل، يا سلاموني، نوبل

- «ونوبل عايز يشوفني؟ يعمل بي إيه؟»

- «.....طاير بشعرك اللي قراه في الجرائد، وطالبك حيّ أو

ميت

لم أصدق نفسي وأنا داخل على الأديب العالمي نجيب محفوظ، وهو ينتصب واقفًا احترامًا لموهبتي. وراح يسمع قصيدة بعد قصيدة، ويشيد بكل قصيدة بشكلٍ بغير.

وبعد لقائي به بأيام، أقيم معرض الكتاب الدولي، وكل مثقفي مصر والعرب يباركون لي ما قاله الأديب العالمي نجيب محفوظ في شعري، في مجلة المصور، في حوار مع الأديب الكبير والإعلامي الأكبر يوسف القعيد، حين سأله عن مستقبل الشعر في مصر، ليختم به الحوار ويقول: «لا خوف على الشعر في مصر مادام هناك رئيس القبيلة الشعرية عبد الرحمن الأنودي. نهايةً بالشاعر الشاب سعدني السلاموني، الذي جاء إلى هنا، واستمعت منه عدة قصائد في غاية الجمال والروعة. فهو يكتب قصائده شديدة البلاغة والعمق والبساطة. فلا خوف على الشعر في وجود رئيس القبيلة عبد الرحمن الأنودي، نهايةً بسعدني السلاموني.» وهنا أغلق الحوار.

وما قاله الأديب العالمي عني، نقلني إلى سماوات العالم، إذ راحت معظم جرائد العالم ومجلاتها وكاميراتنا تبحث عن الشاعر الذي قدمه نجيب محفوظ. حتى قال لي أحد العارفين: «حين يقدم مبدعٌ حائز على نوبل مبدعًا، فهذا المبدع كأنه حصل على جائزة نوبل.»

ولكن، مع كل هذا، لا أنسى دور الآباء العظماء، ودورهم الأعظم معي: الروائي الكبير جمال الغيطاني، والكبار إبراهيم عبد المجيد وعبد العال الحمامصي، والرواد محمد مستجاب وصبري موسى، و عبد الوهاب

الأسواني، وبهاء طاهر، والناقد الفريد أحمد عبد الرازق أبو العلا، رئيس تحرير مجلة الثقافة الجديدة، أول من نشر لي، وشيخ النقاد الأستاذ الدكتور عبد المنعم تليمة، والقناة الثقافية، والتي كان يديرها شقيقي الذي لم تلده أُمي، جمال الشاعر. وبرغم كل هذا، فإنه لا يُعني عن كلام العظيم سليمان فياض عن الكمبيوتر ولغة الكمبيوتر الذي دفعني دفعا أن اضيف قوالب جديدة على القوالب الشعرية المتعارف عليها بديوانى السابع. «إنترنت».

حمدين صباحي... وعالم السياسة... ومسكني

٢٠٠٢

الحق أقول: أول يوم تعلمت فيه القراءة والكتابة، قررت أن أقلب نظام الحكم.

والنظام هنا، حسب اعتقادي، هو عمدة القرية، والخبراء، وشيخ الخبراء. وهناك، فجأة، ظهر لي العمدة وهو يقول:

- «واد يا ابن السلاموني، أنا سامع إنك عايز تقلب نظام الحكم!»

- قلت: «هقلبه يا حضرة العمدة.»

- «أهو النظام قدامك، أهو، اقلبه لو راجل

وفي اليوم الثاني، أفهموني أن هذا ليس هو النظام.

وبعد عام، خرجت بأكبر مظاهرة في قريتي، وكانت ضد إسرائيل

وتجاوزاتها ضد فلسطين. وخرج ورأيي حشد من شباب أهل قريتي. ومن هنا احترفت المظاهرات.

وحين انتقلت إلى القاهرة، شاركت في أكبر مظاهرة ضد الرئيس حسني مبارك، وهناك، وأنا أتقدم الهتافات، تعرفت على الكاتب الصحفي

والسياسي الكبير حمدين صباحي، وتحولنا إلى أصدقاء.

ومن خلاله، تعرفت على أمين عام حزب التجمع الخلق محمد أمين،

الذي سوف يعرفني على رئيس الحزب، المفكر الكبير رفعت السعيد،

ورفعت السعيد سوف يعرفني على الزعيم السياسي الكبير مولانا خالد

محيي الدين، وخالد محيي الدين سوف يعرفني على معالي المشير

طنطاوي، ليصدر قرارًا علاجي على نفقة القوات المسلحة بالمعادي

داخل جناح.

ولكن... أرجوكم، أرجوكم، أرجوكم... لا تتعجلوا الأحداث.

كل هذا وأكثر سوف يحدث، وسوف أحكيه لكم في الفصول القادمة. ولكن الأهم الآن أنني أسكن مفروشًا في غرفة صغيرة، وسوف يهاتفني حمدين صباحي، رئيس تحرير جريدة الكرامة، وعضو مجلس الشعب. وسوف أتوجه إلى مكتبه حسب طلبه، وهناك نلتقي بوزير الإسكان، الذي سوف يوافق على منحي شقة من عمارة تخصه هو شخصيًا، ليمنحها لكبار الصحفيين وأعضاء مجلس الشعب. وافق الوزير على منحي الشقة، لكنها كانت تحتاج إلى مقدم نقدي كبير حتى أستلمها، وحمدين يعلم بهذا، فأخرج كل ما في جيبه، وفي جوف محفظته، وهو يقول:

«هذه النقود هدية شقتك.»

وعلى الفور، هاتفت والدي الروحي، الأستاذ الدكتور سمير سرحان، رئيس الهيئة العامة للكتاب، وتعاقد معي على عدة كتب لأحصل على نقودها وأستلم شقتي.

واستلمتها على خير وجه

سليمان فياض.

إنترنت - شعر ما بعد الشعر.. وإنسان ما بعد الإنسان

هذا الديوان هو الديوان السابع في ترتيب كل دواويني وتجاريبي الشعرية التي تجاوزت الخمسة والعشرين كتابًا. كُتب عام ٢٠٠٠ ونُشر عام ٢٠٠٤ في نقابتي، نقابة اتحاد كتاب مصر.

حين أتيت من قريتي «نادر» مركز الشهداء محافظة المنوفية، قادمي

القدر إلى عدة جلسات مع الأديب الشمولي الكبير سليمان فياض،

هذا العظيم الذي زرع في أرض روعي بذرة التطور الشعري والعلمي

معًا. كنتُ آنذاك جنيًا شعريًا بلا ثقافة ولا علم ولا تعليم ولا مسكن ولا

وظيفة. وقادني القدر إلى جلسات متعددة معه.. هذا الذي حارب جهل

كل المؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية، المصرية والعربية، وأول

كاتب يشق طريقه إلى المحاكم ويدور فيها ككفٍ دائرٍ حتى يقدم إبداعًا

جديدًا كما يشاء.

كان يحب شعري، وفي كل جلسة كان يطلب مني إلقاء قصيدة. وفي

ليلة القدر، كأن نورًا ربانيًا كبيرًا اقترب مني وهو يقول: «اسمع يا بُنيَّ،

لغة العالم القادمة هي لغة الكمبيوتر، والذي لا يعرف لغة الكمبيوتر

سوف يخرج من العالم ولا قيمة له.» قلتُ في دهشة: «إيه الكمبيوتر

ده يا عم سليمان؟! وإيه يعني لغة؟ أنا كل اللي أعرفه أن اللغة الفصحى والعامية هما الأساس، واللغة الإنجليزية هي لغة الكفار!» انفجر ضاحكًا وهو يقول: «هذا غير صحيح، هناك لغات عديدة لا تقل أهمية عن لغتنا، ولكن دعني أشرح لك لغة الكمبيوتر.. تعرف صندوق جدتك؟ صندوق الهدوم والعيش؟» قلت: «أيوه.» قال: «هو بالضبط هكذا، وله شاشة.. وهذا الصندوق سيضم البشرية كلها خلف شاشته، والذي لا يعرف لغته سيكون خارج العالم.»

هذا الكلام العظيم ظل يطاردني سنينا بعد سنين ، حتى نشرت الديوان الأول والثاني نهاية بالديوان السادس ، ولم يخرج من عقلي وروحي ذلك «الصندوق الكمبيوتر» الذي يدخل منه العالم. حتى جاء عام ٢٠٠٠ وقررت كتابة ديوان «إنترنت» ليكون الديوان السابع، بذرة تطوري الشعري والعلمي.

البحث عن النت

كنت أبحث عن الكمبيوتر والنت كالذي يبحث عن روحه ولا يجدها. كل كتاب مصر الكبار وغير الكبار قالوا لي: «النت والكمبيوتر عند الوزراء ورجال الأعمال ورؤساء الجامعات ومديري البنوك.» ومنهم من قال: «يعني إيه نت؟! كل ما أردته هو رؤية كمبيوتر، فقط لأرى كيف يُفتح ويُغلق، لأرى داخله العالم الذي تحدث عنه العم سليمان فياض. حتى رزقني الله بجندي من جنوده يعيش في أمريكا، وكان على وشك العودة إليها. عرّفتني على الكمبيوتر وشبكة النت.. ولكن كتابة ديوان بشعرية علمية وفنية وفكرية تتطلب عمراً إضافياً!

كتابة الديوان

حين أحوّل الورق إلى شاشة كمبيوتر، فيها العالم يخاطب العالم ويتعاشون ويتزوجون وينجبون ويدفنون موتاهم، ويحاربون ويتنصرون ويتطورون.. هنا كان عليّ أن أطيح بالقالب الشعري المتعارف عليه عالميًا وأضع قوالب بديلة تتناسب مع العصور الحديثة القادمة. وهذا لن يتم إلا بطرح ثلاثة قوالب شعرية داخل القالب الواحد، تحوي ثلاثة عصور:

١. عصر ما قبل الكمبيوتر.

٢. عصر الكمبيوتر.

٣. عصر ما بعد الكمبيوتر.

أدخلت عدة أعمدة بجوار العمود الشعري الرئيسي، ولكن الأهم كان تطور

الإنسان في الأزمنة القادمة. وهنا تكمن المشكلة: كيف تعرف تطور الإنسان عالميًا دون أن تتعرف على تاريخ البشرية وعلومها وفلسفتها؟ يا الله، لماذا كل هذا العذاب؟!

اشتريت الكمبيوتر

نعم، اشتريت الكمبيوتر بكل ما أملك، واستعنتُ بالفنان النوبى الصديق كرم مراد ليعلمني. تعلمته في ليلة، وفي الليلة الثانية بدأت أرسل الإيميلات لرموز الساحة الثقافية.. ولكن الأيام مرت ولم يرسلني أحد. حتى جاء الكاتب الصحفي الكبير صديقي سعيد توفيق، فشكوت له الأمر، فانفجر ضاحكًا: «ما حدث عنده كمبيوتر إلا أنت يا سلاموني! لأنه عند الوزراء ورجال الأعمال.. وبعضهم يضعه على مكتبه للوجاهة فقط!» تملكني الإحباط وكاد يقضي عليّ، وتساءلت: لمن أكتب هذا الديوان؟! وحتى أكتبه وأجد له قراء، أحتاج إلى عشرة آلاف كمبيوتر وأعلم كل من اشتراه، ثم أنشره لهم.. ولكن من سيقوم بهذا العمل العملاق إلا دولة كبرى؟

العالم وراء الشاشات

وضعت خطة مشروع الديوان على الورق، وتخيلت أن الكمبيوتر اقتحم كل بيوت البشرية كفرشاة الأسنان. واستيقظت البشرية صباحًا فلم تجد السماء ولا الأرض ولا الشوارع ولا المطارات.. لم يبقَ إلا شاشة الكمبيوتر، فتواصل العالم من خلالها: تزوجوا، أنجبوا، عملوا، ودفنوا موتاهم.. وهكذا يمكنني إعادة هيكلة البشرية وتقديم عالم جديد تديره «دولة الإنسانية الشعرية».

قبل أن أنهى رسم الخريطة، جاء سعيد توفيق وسألته: «معاك فلوس؟» قال: «ليه؟» قلت: «هات سيجارة وحاسب لي على كوباية شاي!»

شعرية كونية

وإذا قررت أن أنجح في كتابة الديوان، فسوف أحتاج إلى شعرية كونية، لأن الشعرية البشرية محدودة، بينما الشعرية الكونية تستطيع كتابة دواوين داخل الديوان الواحد. من هنا أطلقت مشروع «الرواية الشعرية» ونشرت أربع روايات:

١. جنون رسمي

٢. أرواح بتطير

٣. دافنشي

٤. مخ وأعصاب

وهذا يدل على أن الشعيرة الكونية تقوم على:

- العلمية.

- الفلسفية.

- الفكرية.

- الفنية.

ولكن هل تنجح في إعادة هيكلة بشرية الأرض؟ لكي تنجح، يجب أن يخاطب الديوان كل الطبقات، ولهذا اخترت أهلي الفلاحين، أعظم وأبسط طبقة.

من العلم والإيمان إلى ستيفن هوكينج

قررت السفر إلى الكون لأستعين بالشعيرة الكونية، فلم أجد إلا برنامج «العلم والإيمان» للعبقري مصطفى محمود. في إحدى الحلقات، تحدث عن رحلة العبقري ستيفن هوكينج إلى الكون. اشتريت كتابه «تاريخ موجز للزمن»، وقبل أن أشتري كل أعماله، قررت السفر على صدر روحه الكونية

ولكن ونحن في طريقنا إلى الكون الكبير الذي يكمن في نهاية الأكوان سقطت مني روح ستيفن هوكين فحملتها على صدر روعي وتوجهت بها إلى الكون الأخير وهنا في نهاية الأكوان نظرت إلى الكوكب الأرضي أجده في حجم حباية الرمل.

.. بل بحجم ثقب المسمار! فلطمت خدي وقررت توثيق ذلك بالشعر، فكانت أول قصيدة تكتب في الكواكب والأكوان:

مِخْتَار في عبادك.. مِخْتَار

مَفْكُرِينَ إن الكون ليل ونهار

ما يعرفوش إحنا عايشين على كوكب

أضيق من خرم المسمار!

حين وصلنا سماء الكون، لم ترَ عين هوكينج شيئاً بعدها، لكن عين روعي البكر رأت أكواناً لا حصر لها. وللأسف ألف كتاب يؤكد فيه أن هناك أكوان متوازية وعمل عليه كبار من علماء العالم وللأسف وكل أسف لو كان صعد معي لنهاية الأكوان لوجدتها معكوسة وليست متوازية ومن هنا. كتبت عدة كتب عن الكواكب والأكوان، منها «مفتاح الكواكب والأكوان» و«الكون الثاني» و«أكوان ضائعة».

المستحيل

حين رصدت تاريخ العالم، أصبت باكتئاب شديد.. كيف أعيد هيكلة بشرية أسرة واحدة، فما بالك بالبشرية كلها؟! هذا من رابع المستحيلات. والعالم أشبه بمصحة نفسية، فكيف أهيكّل مريضاً واحداً؟

صبري موسى

كتبت ديوان انتزعت عام ٢٠٠٠ وعرضته على المؤسسات ودور النشر، فاتهموني بالشعوذة والسحر! أربع سنوات وأنا أدور في دائرة مفرغة كعب داير لأنشر ديواني، حتى التقيت بالأديب الكبير صبري موسى. شكوت له حال نشر الديوان، فقال: «دعني أقرأه.»

في اليوم التالي، جاءني وهو يقول: «يخرب بيتك يخرب بيتك يا سعدني! أنت فين؟ أنت عامل إيه؟!» ذهبنا إلى مجلة «صباح الخير»، وجلس يستجوبني عن كل سطر في الكتاب، ثم قال: «أنا كتبت هذا العالم في رواية «حادث النصف متر» ولم يفهمها أحد، حتى في أمريكا! كيف وصلت إليه؟!»

نشر الديوان عام ٢٠٠٤، ولم يفهمه إلا قلة. والآن، في نهاية عمري، قررت جمع كل تجاربي الشعيرة في مجلدات لتصل للناس بعد رحيلي.

حضارات الأهرام وأحمد خالد

في نهاية العمر تكتشف أنك عشت في أكبر كذبة.. الجميع حولك يمثلون الصدق. ثم تأتي لحظة الحقيقة، وتكتشف أن هناك شخصيات نورية ساقها لك القدر، مثل الكاتب الصحفي أحمد خالد بالأهرام. حين حوصرت عالمياً، اتصل بي وقال: «اكتب لنا مقالات أسبوعية بمبلغ مالي يليق بك.»

كتبت مقالات تحت عنوان «ضد العلم»، فقال لي: «مستحيل أن تكون بشراً!» لكن الموقع لم ينشرها. ثم طلب مني أن اكتب قصة حياتي على حلقات كتبت سيرتي الذاتية تحت عنوان «ما بين الحياة والموت»، وكانت مادة عظيمة للمخرجة السودانية الأسترالية فتحية عمر التي حولتها إلى فيلم سعدني السلاموني من الرصيف للعالمية والسناريست الكبير محمد عرابي. الذي حولها إلى مسلسل تلفزيوني من ثلاثين حلقة وقدم المعالجة للإنتاج المصري ولم يخرج المسلسل إلى النور حتى وقتنا هذا ونحن في عام ٢٠٢٤.

موسوعة «فرشة بتنقط سنين.»

وفاروق حسنى

ديوان انترنت أخرجني من القالب الشعري التقليدي، وقدم قوالبًا جديدة تحتوي شعريتي «السريالية المتوحشة» كما وصفها الدكتور شاكِر عبد الحميد في دراسة من أهم درساته. تمردت على القصيدة التقليدية ودخلت عالم «شعرية المشاريع». في ٢٠٠٠، قرأت لوحات فنية عالمية بالشعر، وكتبت كتابًا يجمع بين الشعر والتشكيل، لكن طباعته كانت مستحيلة بسبب تكلفة الألوان.

ذهبت إلى الفنان فاروق حسنى، فاهتم بالمشروع إهتمام يفوق الحدود. وتعاقد معى على ثلاث مجلدات وهم

١. فرشة بتنقط سنين.

٢. عمى ألوان.

٣. أمية بصرية.

أول ديوان مرئي ومسموع

على الفور هاتفتي رئيس قطاع الفنون التشكيلية، الفنان القدير الدكتور أحمد نوار، الذي أطلع على المجلدات الأربعة، وطلب مني أن نستخلص منها ديوانًا على أسطوانة، يكون أول ديوان مسموع في مصر والوطن العربي.

قلت له: «مسموع ومرئي أيضًا».

قال بدهشة: «يستحيل!»

قلت: «اتركني في القطاع، وأنا أقوم بالتصميم، وأنتم تنفذون».

وفي عام ٢٠٠٤ انتهينا من أول ديوان مرئي ومسموع، وكان له صدى عالمي، حين وضعه قطاع الفنون التشكيلية في متاحف العالم.

من العالمية إلى الرصيف: مأساة ما بعد رحيل نجيب

محفوظ

حين مات الأديب العالمي نجيب محفوظ، اختفت شمسي من سمائي، وحاصرني دوائر من نار جهنم من كل اتجاه. سألت أحد العارفين: لماذا كل هذا؟

قال: «مات الذي كان يحميك من الوحوش. مات سندك. مات نجيب محفوظ».

وتم حصارى مصريًا وعربيًا وعالميًا. طال الحصار حتى قوت اليوم.

هنا أصدرت مجلة الرصيف من رصيف قهوة المثقفين في زهرة البستان بكل إرثي، وكان يعمل معي ثلاثون صحفيًا لإصدارها. حتى وصلت أعدادها إلى العدد الخامس والعشرين، مع طرح سلسلة إبداعات الرصيف.

وبعد أن نجحت في تشكيل وجدان الإعلام العربي، تم حصارها، لأنها كانت تُترجم إلى لغات عديدة، وكل من كان ضد النظام في الدول الأجنبية كان يقوم بطبعها وترجماتها. ومن هنا، انتشرت عالميًا، وأصدر الرئيس مبارك قرارًا شفويًا باعتقالي ومصادرة المجلة، لولا تدخل صديقي المستشار أسامة الباز - رحمه الله - الذي أقنعه بأنني لم أتعلم القراءة ولا الكتابة، وأن «الأشعار» هم من يكتبون لي ويضعون اسمي على المقالات.

فاكتفوا بمصادرة المجلة، وتحولت حياتي إلى معتقل. أعلنت فورًا عن إطلاق قناة الرصيف على اليوتيوب، لكنني لم أنجح في إطلاقها، من شدة الحصار الذي كان يهدف إلى تصفيتي جسديًا. وهنا تم تصفية شقيقي الأكبر طبيًا، وتلفيق قضايا لشقيقي الثاني وسجنه سبعة شهور، ثم غسيل دماغ. كل ذلك كان قبل ثورة يناير بأعوام قليلة. ومن هنا، عشت أسود سنين عمري، من سماوات العالمية إلى قاع الرصيف.

عين الجحيم: مشروع محو الأمية البصرية

حين أعلنت عن مشروع محو الأمية البصرية - علم جديد وتعليم جديد - تواصل معي أناس من جميع أنحاء العالم، يدرسون العلوم وليسوا ككل الناس، فلهم طبيعة خاصة. أى أجهزة أمنية مصرية وعربية وعالمية. تسابق الجميع لمعرفة مصادر المشروع ومراجعته، خاصة أنه علم عالمي جديد وتعليم جديد، ولم ينجحوا. بدأ الكل يتنافس كي يحصل على جنسية وطنه، ويتم تنفيذ المشروع على مستوى العالم.

علمت من شخصية كبيرة مخلص أن جزءًا من المشروع سيحوّل إلى أدوات هجوم ودفاع بحجة «حماية الأوطان»، فيتحوّل نور الله إلى نار. كل دولة عظمى قدمت هذا العرض، مع شرط أساسي: أن أتنازل عن الجنسية المصرية.

وهذا قانون عالمي متفق عليه شفويًا، ومبرراتهم أن علماء الشرق

الأوسط، بعد أن تُنفق عليهم الأموال، يعودون بعلمهم لبلادهم.
وقعت مرارًا في حيرة:

أسافر إلى دولة عظمى ليُحقق المشروع عالميًا وأعيش في القصور كما وعدوا؟ أم أظل في حياة تشبه الجحيم؟
وطبعًا، فضّلت الجحيم - بل هو الجحيم بعينه.

من الرصيف إلى العالمية: فيلم وسط الأشباح

لم تشفع لي نجوميتي العالمية، ولا ما قدمته من إبداع، ولا دراسة أول ديوان لي بالجامعة الأمريكية، ولا ترجمته لعدة لغات، ولا سبعة دواوين أخرى، ولا الحوارات مع الصحف المصرية والعربية والعالمية، ولا أكثر من ستين لقاءً تليفزيونيًا.

وكأن شيئًا لم يكن.

عادت حياتي إلى ما تحت الصفر، محاطًا بأشباح بشرية مصرية وعربية وعالمية.

وأنا ألتقط أنفاسي الأخيرة، جالسًا على مقهى زهرة البستان، بين الحياة والموت، تحاوطني الأشباح من كل اتجاه.

فجأة، دخلت عليّ بالكاميرا الفنانة التشكيلية والمخرجة العالمية فتحية عمر بلّ، وقالت: «تحدث يا عبقرى، أنا سأصنع من حياتك فيلمًا: من الرصيف إلى العالمية».

قلت لها: «أنا ميت».

قالت: «العابرة لا يموتون، وأنت عبقرى».

قلت: «خائف عليك، فهؤلاء الأشباح كُثُر».

قالت: «تحدث، أرجوك».

قلت: «هي مودة ولا اتنين؟»

ومن هنا، كانت بذرة فيلم سعدني السلاموني: من الرصيف إلى العالمية، جزآن، كل جزء ساعة.

بدأنا التصوير عام ٢٠٠٥، وانتهينا منه عام ٢٠٠٧، وتم عرض الفيلم في أتيليه القاهرة، ثم مركز نبتة، ثم عرضته في وطنها الثاني أستراليا، حيث إنه إنتاج أسترالي.

ثم اختفى الفيلم وتم حصاره حتى عام ٢٠٢٢، حيث ظهر فجأة، وتم عرض الجزء الأول على السوشيال ميديا، واختفى الجزء الثاني من الوجود.

لم يُصور الفيلم، بل «خطفناه» من تحت أنياب الأشباح البشرية.

مع مطاردات شرسة، حتى لم يتركوني أنا والمخرجة في قريتي، وتمت

مطاردتها وتوجيهه بلطجية لحياتها، حتى تتراجع عن التصوير، ولم تتراجع. لأنني غير مسموح بأن يُصنع فيلم عن حياتي محليًا، فما بالك بصنع فيلم عالمي، يتحدث فيه كبار الفنانين التشكيليين من ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وأمريكا.
وقد انتهينا من التصوير على خير وجه.

الشعرية الكونية ومحو الأمية البصرية

عينٌ ترى القوالب من الداخل!

هنا، الشعرية الكونية التي اكتسبتها، جعلتني أشاهد كل القوالب بوضوح، وأصنّف المواد التي بداخلها وأجسدها، سواء كانت مواد علمية أو فكرية أو إبداعية، لأن الشعرية لها بصر كاد أن يكون من حديد.

المنع.. والابتعاد عن الإبداع اختيارًا

والحق أقول: حين تم حصاري مرةً أخرى، ومُنعت من الصعود إلى المنصات والنشر، قررت أن أبتعد عن الإبداع كلّ الابتعاد، حتى يزول هذا الحصار. خاصةً أنني قد تحققت شعريًا، ورأيت تاريخي على الشاشة في فيلم من جزئين. والسيناريست الكبير محمد عرابي، حفيد الزعيم أحمد عرابي، يعمل على مسلسل من ثلاثين حلقة عن قصة حياتي، وقريبًا سيسلمه للإنتاج المصري. وجاء الوقت الذي أُستريح فيه استراحة المحارب.

قراءة الخيبة: من الابتدائية حتى الدكتوراه!

ومن هنا، قررت أن أقرأ الكتب الدراسية التي كنت أحلم أن أدرسها. قرأت ما تيسر من كتب المرحلة الابتدائية، ثم الإعدادية، ثم الثانوية، ثم الجامعية... حتى أصبت بخيبة أمل كادت تطيح بحياتي! فليس هناك علم يُعلم، ولا تعليم يُعلم.

وفي يوم، وأنا في طريقي إلى معرض الكتاب، دخلت جناح سور الأزبكية، ووجدت رسائل دكتوراه تباع بعشرة جنيهات! اشتريت عدة رسائل، وبدأت أقرأها، واحدة تلو الأخرى، وأنا أطم الخدود. كيف حصل هؤلاء على هذه الرسائل؟! للأسف، بامتياز! ورسائل مع مرتبة الشرف! نظرت إلى السماء وأنا أبكي:

هل هذا هو العلم؟ وهذا هو التعليم؟!

قلت للسماء: خذني إليك يا الله، لأنني لن أشارك في هذه الجريمة العالمية، التي تقوم على الخداع العلمي والخداع البصري!!

الوحي البصري ينزل فجأة على الطريق

هكذا قُلْتُ للسماء وأنا أبكي. وفي اليوم التالي، كنت مسافرًا مع صديق إلى قريته، داخل سيارته. وفجأة أطلقت السماء ضوءها في عيني، كادت الأضواء أن يطيح ببصري! كانت عيناى جائعتين نورًا، وكادت تلتهم كل أضواء السماء بلوحاتها الكونية، وإيقاعاتها، ونغماتها، وموسيقاها! كانت تنهل جبالًا من الألوان وراء جبال، ولا تشبع. تفتحت كل مسام روحي للسماء، وكأنني أتسلم رسالة كونية بصرية، بعين وعقل روحي! صرخت في صديقي:

قف! قف! قف! قف! قف! قف!

وكانه الوحي البصري الإبداعي، الذي سوف يجيء بأكبر مشروع علمي وتعليمي، وهو مشروع:

«محو الأمية البصرية: علم الخيال»

محو الأمية البصرية... مشروع محاصر عالميًا!

كلمة لوجه الله: حين صدر أول كتاب من الموسوعة العلمية «محو الأمية البصرية»، قامت الدنيا ولم تقعد! وعلى الفور، جلست مع من يدرون شؤون الوطن العربي العلمية، فقال كبيرهم:

«أنت ولعت علينا الدنيا بهذا الكتاب!»

قلت بدهشة الفلاح الريفي:

«ليه؟ دنيّة إيه اللي ولعت؟»

«أنت جاي بعلمية عالمية، وجاي بعلوم كونية!»

«وإيه الغلط في كده؟»

«ده محرم عالميًا!»

«ومن الذي حرّمه؟»

«لازم يكون باتفاق دولي!»

«مافيش قوة في الكون تقدر توقف المشروع!»

نظر إليّ في دهشة وهو يقول:

«في الكون؟!»

«في الكون! ولك هذا القسم: دعكم من هذا النمل البشري. أقسم بالله، أنا دخلت معارك مع أشباح كونية! الشبح الواحد منهم يقدر يخلص على هذا الكوكب... فوق... فوق!»

دا مش مجرد كتاب، دي موسوعة من اثني عشر كتابًا! قال بدهشة:

«أنا بأحبك... وخايف عليك!»

«أنا تعييني كوني، يعني ساعي بريد، يعني دا مش علمي، أنا خدام الخدامين فيه! سيبتها على الله!»

إختفاء الشمس والمشروع

وفجأة، اختفت الشمس من السماء، خوفًا من غضب «من يدرون الشؤون العلمية على مستوى العالم»!

وتم حصاري عالميًا، بأشباح بشرية: مصرية، وعربية، وعالمية! دخلت في دوائر من نار جهنم البشرية... نار جهنم بكل ما تحمله الكلمة من معنى!

واختفى المشروع من كل جرائد العالم... وأخفوني من الوجود!

الوحي في المرأة

وفجأة ظهر لي الوحي في المرأة، مددت يدي إليه وأخرجته، فوجدته نسخة مني، وأنا نسخة منه، ولا أعرف من الأصل حتى وقتنا هذا! ولكن أن يعيش الإنسان بجسدين، فهذا مرهق جدًّا نفسيًّا وماديًّا. فأنا أحب الله، والأديان عامة، وأحب الهدوء والسلام والراحة والنوم، وعاشق للصوفية الإنسانية.

وهو عاشق للنساء والخمر والحرية، ولا يرى في العالم إلا هو، ولا يطيق النوم، ويسافر إلى نهاية الكواكب والأكوان في جزء من الدقيقة. ومع السنين تصادقنا، وعشقه عشقًا، ولكن كانت هناك مشكلة أبدية بيني وبينه، حين أدخل عليه غرفته لأطمئن على وجوده، أجده يخونني مع عشيقتي!

أطردهم من الشقة في غضب، وفي نهاية الليل يأتي لي سكران وفاقد توازنه، وأثوابه ممزقة، أضمه إلى صدري ضمة الأم لطفلها، وأضعه على السرير وأقول له: «نتفاهم صباحًا».

وفي اليوم الثاني خرج بمظاهرة، وكل الناس خرجت وراءه. وجاء في نهاية الليل سكران، ووراءه شبكات أمنية عالمية لا تُحصى ولا تُعدّ تراقبه. لطمت الخدود وأنا أصرخ فيه: «مالي أنا بالسياسة والأمن والمظاهرات؟!»

وفجأة تلبسته روح العالم العراقي الكبير الحسن ابن الهيثم، الهيثم توأم روحه كما يظن.

أقول له: «يا سلاموني»، فيقول: «سلاموني مين؟ أنا الحسن ابن الهيثم،

أنا روح حسن، وحسن روحي!».
وفجأة طار على القلم وراح يكتب...
وفجأة مات الحاكم بأمر الله!
قلت: «أطلع أعيش الحياة»،
لقيت الحياة سجن، والسجن حياة،
بصيت بعيني بعيد،
لقيت ملك الموت شاييل كفن من حرير السماء،
وعشرين ملك جايين وراه،
قال: «جاهز وحدووهووه»،
قلت: «جاهز وحدّناه»
، أدخل جوه جسمي، هات الروح بالراحة، وحصلني
توكلنا على الله..
. توكلنا على الله.

مرهق هذا الجسد، خاصة حين تعيش به في وطن مثل مصر أو الوطن العربي.

من هنا قررت أن أتخلص منه، أو أتخلص من جسدي أنا شخصيًا، وأرتاح للأبد، خاصة أنني لا أعرف من أين جاء هذا الجسد العبقري! هل جاء من رحم جسدي الآدمي؟ أم رحم جسدي الإنساني؟ أم رحم جسد السماء؟ والأدهش أن العلماء الأغبياء الوحوش صنعوا له مصحات حتى يصفوه جسديًا، وهو العبقري بعينها أو عين العبقريّة.
وفجأة، وأنا أفكر في هذا، جاءت طرقات شديدة كادت أن تطيح بباب شقتي.

- مين؟

- مين؟

- افتح يا جبان، يا عرييد، يا بتاع النسوان،

ياللي دايمًا تطوح،

لا همك رمضان ولا غير رمضان،

- مين؟؟ مين؟؟

- افتح يا قليل التربية، يا عديم الدين!

- حافتح بعد ما أصلي ركعتين،

أنا تحت الدش، حانشف جسمي وطالع

طالع...

- جسمك معانا، ما تنشفوش!

اتخضيت

، لما لقيتهم شاييلين جسمي

وكان سكران طينة

لابس فردة جزمة قديمة، ومضيع فردة، وبيقول

«افتح ياد، دخلني!»

«...أدخلك فين

والمصحف يا جماعة، دا مش هو جسمي،

حتى شوفوا البطايق،

حتلاقوا اسمه غير اسمي،

هو عنده خمسة وتلاتين سنة

، أنا عندي خمسين،

يبقى جسمي منين؟!

رمىتوا جسم على إمبراح،

وأدى جسم، يبقوا جسمين،

أوكلهم منين؟!

دا مش جسمي!!»

من هنا قررت أن أدفنه، وأتخلص منه في كل قصائدي، حتى كتبت

ديوانًا تحت اسم

- مش هو دا جسمي -،

خاصة حين هاتفني قسم الشرطة وهو يقول: «تعال استلم جسمك اللي

عامل لي فيها ثوري»،

ووجدته منهارًا، وخاسس، ولحم على عظم.

صرخت فيهم: «دا مش جسمي، ادفنوه، وأنا حاطلب من ربنا يديني

جسم جديد، وأكتب عليه اسم غير اسمي».

ومنذ هذا اليوم، وأنا أدعو الله أن يبدل جسدي بجسد موهبة

عادية، مثل كل المبدعين، حتى لا يقضي على حياتي الجسدية الآدمية.

وعز وجل لا يستجيب.

فنظرت إلى السماء وأنا أقول: «لماذا لم يستجب الله عز وجل إلى

دعائي؟!»

نظر لي جسدي وهو يقول: «الوقت فات، أيام وتكون بين يدي الله».

وفي نهاية عمري، اكتشفت أن كل إنسان على الكرة الأرضية يعيش

بجسدين:

- منهم من يدرك هذا الجسد، ويعيش معه في سلام،

- ومنهم من يطوّعه للعلم أو الإبداع،
- ومنهم من يعيش معه في صراع،
- ومنهم من لا يدركه، ويعيش عمره بالجسد الواحد حتى نهاية عمره، وهو لا يعلم أنه يمتلك جسداً آخر

من السفير رضا الطايقي إلى وزارة الخارجية.

لم أصدق نفسي، وجامعة «كاليفورنيا» جامعة العلوم الأمريكية تهاتفني! وحيث إنني صفر في اللغة الإنجليزية، استعنت بزوجتي لتتحدث معهم، وهي الشاعرة إيمان النادي، وهي أيضاً ضليعة في اللغة الإنجليزية. طلبوا منها جواز سفري وصورة البطاقة، حيث تم ترشيحي سفيراً للعلم والإبداع للشرق الأوسط.

حينها تذكرت الأمم المتحدة حين أعدت فيلمًا وثائقيًا عن حياتي ومنحتني ألف دولار، وكان ذلك عام ٢٠٠٠. وبعدها بسنوات تعرفت على الدكتور محمد مستجير، المترجم في الأمم المتحدة، وفي يوم مشرق قال لي شقيقي أحمد: «مستجير سوف يلتقي بك اليوم». ولم أعلم حينها أنه قد تم ترشيحه لجائزة نوبل في العلوم الوراثة مرتين، ولم يحصل عليها لموقفه السياسي. وراح عالمنا العلامة يشرح لي سيناريو فيلم الكرة الأرضية القادم بعد خمسة وعشرين عامًا، يطرحه في حديثه ويدونه في كتبه، وما كتبه وقاله لنا حدث بالفعل.

من هنا كان له دور عظيم في زرع بذرة العلم في روحي. وفي نفس اليوم التقيت بالعقري العربي، المخرج العالمي مصطفى العقاد، مخرج فيلم الرسالة وعمر المختار. والمدّهبش أن الرجل الذي كان يطارد مصطفى العقاد، وعقري العلم الدكتور أحمد مستجير، كان ملازمًا لحياتي، وكأنه جلد على عظمي. وهو نفس الرجل الذي سوف يتسبب في فتح قلبي بنجاح، وأطاح بمنصبي كسفير للعلم والإبداع.

لكن كل هذا ما جعلني أذكر بداية نشر أول كتاب في موسوعة محو الأمية، حين اشتد عليّ الحصار عالميًا، وهاتفني الأديب والمخرج طلال سيف، ودعاني لندوة في مكتبة مصر العامة، حيث يديرها المثقف الموسوعي الكبير السفير رضا الطايقي، رئيس تحرير مجلة الدبلوماسية. وكانت الندوة عن الأديب الكبير الدكتور شريف مليكة، المصري الأمريكي.

وراح طلال يحكي عن مشروع العلمي المحاصر، فقال السفير: «اشرحه لي»، فشرحته، فقال: «عقري، عقري، مشروع عقري، وسوف أقرره

على كل مكاتب مصر العامة». كلام معالي السفير ردّ الروح. وفي اليوم الثاني هاتفني معالي السفير وقال: «لك موعد مع معالي وزير الخارجية». فتوجهت صباحًا لسعادته، وللأسف سافر خارج مصر فجأة، فالتقيت بمستشار الوزير للعلوم الدولية، والذي شرحت له المشروع كعلم جديد وتعليم جديد، فقال ما قاله معالي السفير: «عقري، عقري، عقري»، وأخذ نفسًا عميقًا وهو يقول: «كان نفسي معالي الوزير يتعرف عليك، شوف يا سلاموني بيه..

. الوزارة في الحقيقة لا تتعامل مع أفراد ولا مؤسسات ولا مراكز، بل تتعامل فقط مع جامعات وكليات، ولكن لعبقريّة مشروعك، الذي هو فخر مصر، سوف نتبناه دوليًا».

وعلى الفور انضم للمشروع معالي السفير رضا الطايقي، وكتب مقالاً عنه فارقًا، فكان وسام شرف على صدر تاريخ المشروع، هو ووزارة الخارجية. وبعد كل هذا العمر، وهذه الحياة، أقول: إنها الأقدار. والحياة قرار، والموت بقرار، والنجاح بقرار، والفشل بقرار. وكل إنسان وقراره.

رجل الرادار

هو دُبّور بشري عجوز، يتبعه دوائر من الدبابير الصغيرة، وهو متخصص في المهام الدولية الصعبة. وحين دخلت بأقدامي الساحة الثقافية اقترب مني وصادقني، وتوجه بي إلى بيته، وهناك كشف عن شخصيته، وهو يقول: «نحن لنا دبابير في كل دول العالم، تكون دُبّورنا، نقف بجانبك، وتكون عالمي».

قلت: «أنا لا معكم ولا ضدكم».

قال: «قاعدتنا تقول: إيلي مش معانا يبقى ضدنا».

قلت: «القاتحة للنبي».

قال: «على إيه؟»

قلت: «عليكم طبعًا».

وقضيت عمري كله تحت أنيابهم، لا أنطلق عالميًا، ولا أختفي تمامًا، أي بين الحياة والموت.

عين العبقريّة... وعبقرية العين

الأم هي الوحيدة التي تشعر وتحس وتتحمس وتعرف جنينها وحجم جنينها.

هكذا العبقري، هو الوحيد الذي يعرف حجم عبقريته داخل رحم روحه،

ويعرف أيضًا أن العبقرية ليست اكتسابًا، بل هي أقدار تُمنح من الله عز وجل، يمنحها لمن يشاء ويمنعها ممن يشاء. والعبقرية أنواع: عبقرية علمية تشمل كل أنواع العلوم. وعبقرية إبداعية تشمل كل أنواع الإبداع. وكل عبقرية مخصصة لها وحي. اكتشفت هذا قبل نهاية عمري بقليل، حين أنتهي من أي كتابة أصرخ في الوحي وأقول: «من كتب هذه العبقرية؟ رد عليّ أرجوك!» فيختفي فجأة، ولا يعود إلا عند كل نهاية كتابة. حتى دارت حرب بيني وبينه، لأنه ما يطرحه عليّ من عبقریات، وأدونها من علوم كانت أو إبداع، يأتي لي ولعائلتي بمشاكل لا يحتملها بشر، ويرهق عين وعقل روحي بشكل لا يُطاق. لأن الإنسان بشكل عام يرى ويفكر ويعمل بعين رأسه وعين عقله. أما العبقرى فيعمل بالثلاثة:

عين وعقل ولسان الرأس.

وعين وعقل ولسان الروح.

وعين وعقل ولسان القلب.

ومنتجهم: البصر، والبصيرة، وبصيرة البصيرة.

الردار

هذه الأعمال تبدأ من الدنيا وتنتهي عند الآخرة.

انتبهوا، السرعة مراقبة بالردار!

وهناك من باع عمره الإبداعي للردار قهراً وخوفاً ورُعْبًا،

وهناك من توقف مُرغمًا،

وهناك من عاش حياته مُطارِدًا في حياة تُشبه الجحيم حتى يصل

جزء من إبداعه إلى الناس،

وهناك من هو بين بين...

أين عمري؟ أين إبداعي

وهنا أقول لكم كل طرحته إليكم حتى الآن ليست فصول من رواية حياتي

بل ما هو إلا تمهيد

...

كوكب قرية نادر

أم من رحم الساقية؟!

مع دخول كل هذه الأصوات، يدخل صوتٌ كبطل رئيسي،
وهو صوت قواديس الساقية،
وهي تُرسل أوّل قادوس إلى جوف البئر وتملأه عن آخره،
صاعدًا في نغمات:
طرطشات مائية،

مع عزف المسامير مع الأسياخ الحديدية.
الناظر بدقة إلى سماء هذا الكوكب يكتشف معرض فنّ تشكيليّ كونيّ،
وأوركسترا كونية أذلية بقدّم الزمن ذاته.
يتشرب هذه الإيقاعات ليردّها محمّلة
بألوان كونية عملاقة.
فكل أهل القرية يحملون في أرواحهم كل هذه الموسيقى،
وهذا هو كوكب قريتي: نادر

الميت الحي

بين الحياة والموت هاط كوبري يعدوا عليه الميتين للساحيين والساحيين يروحوا للميتين

نعم. الآن. الواحدة ظهرًا، عام ١٩٨٠
قرية نادر، مركز الشهداء، محافظة المنوفية. هي قريتنا،
والناظر إليها من بعيد يجدها قنفذًا أو سلحفاة،
حين تشعر بالخطر تلملم أبناءها، وكلابها، وبهاائمها، وحميرها،
وجواميسها، وأبقارها، وبطها، وأوزها،
وحمامها، ويمامها، وعصافيرها،
ترمي غطاءها عليهم حتى يمر الخطر في سلام.
ثم ترفع غطاءها الذي يشبه الشمسية،
هذا الغطاء سلاحها،
منذ نعومة أظفارها، حين يهجم عليها الظلام
تطرحه على جسدها، وفي كل مطلع فجر تلملمه،
بأوامر.
الليل والنهار ينطلقان من تحت إبطيها،
وكلٌّ منهما ينطلق باستئذان، ولا يقترب النهار من جسد القرية
إلا أن يأذن له صوت الديك، ومن بعده
صوت العصافير.
وحين يحدث هذا، ترفع غطاءها عن عالمها،
فينطلق أبنائها إلى الشوارع،
من بشر، وحمير، وجمال، وكلاب، وبهاائم،
يبحثون عن رزقهم،
والطيور، وعالم الطيور، يفرون إلى فضاء السماء.
هذه هي قريتي، بقوانينها الصارمة،
والويل كل الويل لمن يتمرد عليها، صغيرًا كان أو كبيرًا،
تلفظه تمامًا من حياتها، تهمشه، ولا تعترف بوجوده
على الإطلاق، حتى لو خرج منها وعاد كنجم
من نجوم العالم.
والحق أقول: إن هذا الطفل، الذي لم يتجاوز من العمر إلا خمس سنوات،

هذا الطفل هو أنا.
لم يخرج عن طوع هذه العجوز الشمطاء، التي تحمل قلبًا من حجر،
إلا يوم الحادثة؛
الحادثة التي رجّت أركان قريتي نادر وأركان القرى المجاورة...
هذه الحادثة التي غضبت منها السماء،
فأسقطت على القرية غيومها قبل أوان ليلاها.
والحادثة بطلها ثلاثة شخصيات، لا رابع لهم:
خفير القرية، ووالدي عبد الفتاح السلاموني، نجار السواقي الذي يعول
سنة أفراد، وأنا آخرهم.
الطرقات تدق على باب الدار، وكأنها تعلن عن حرب قادمة.
خرجنا جميعًا في فزع، لنجد الطارق: خفير القرية،
جاء بأمر عاجل وهام من الحكومة:
– ابنك مطلوب للمدرسة بكرة... حيا أو ميتًا.
– اكتبوه ميت... أنا ما عنديش فلوس أعلم أولاد!
– مستقبل الواد يا معلم عبد الفتاح... حرام عليك!
– أجيب منين يا شيخ الغفر؟... اكتبوه ميت!
قبل أن تخرج نهاية جملة «اكتبوه ميت»،
سقط وجهي على الأرض بسرعة الصاروخ،
ورحت أعضعض في أقدام أبي،
وأعص وجه الأرض بأسناني،
وكفوف يدي الصغيرة تدب عليها بكل قوتي، حتى تنشق وتبتلعني،
وأذوب فيها وأتحلل إلى تراب،
حتى أختفي تمامًا عن عيونهم ولم تنشق.
وها هو حلم حياتي، وحياة ناهد حبيبتي،
يقذفه والدي من على أطراف شفتيه،
ليستقر في بحر الموت.
راح والدي يللمل جسدي الصغير من على وجه الأرض،
ويضمه إلى صدره...
صدره الذي تحوّل إلى مسامير تشكشك في جميع أجزاء جسدي الصغير.
اشتد صراخي،
خطفني صدر أمي،
ولأول مرة، تخرج النار من صدر أمي،
وكادت أن تحرقني،

ولكن صدر الطفلة ناهد أحن من صدورهم جميعًا،
وهي تضميني إليها وتبكي،
ونظراتها الغاضبة كادت أن تفتك بهم... وبالحفير،
وهي تقسم لي بأنها صباحًا لن تذهب إلى المدرسة إلا بي،
وسوف تُعطيني حقيبتها، حسب قولها.
هناك، في حوش المدرسة، سوف نُخرج الكرايس،
وكراسة الرسم، والأقلام،
ونرسم حلمنا:
الترعة، وشجرة العشاق التي نعرفها،
وبجوارها بيت صغير وطفلتنا الذي نحلم به.
قلت: سأرسمه وهو يدخن.
انفجر الجميع بالضحك،
ولكن صرخة ناهد كانت أعلى، وهي تقول:
_ إنك حتفسدلي الواد من دلوقت!..
أنا حطله دكتور ولا مهندس...
في الخامسة صباحًا، ها أنا أجلس أمام باب الدار
في انتظار ناهد. وها هي قادمة مع الأطفال،
تحمل حقيبة المدرسة.
طار جسدي إليها، وقبل أن أنطق بكلمة: «هاتي الحقيبة»،
قالت: «بُكرة، أنا لسه ما فرحتش بشنطتي، خدها بُكرة... بُكرة!»
هذه ليست ناهد التي أعرفها، ليست ناهد الأمس،
غير ناهد الآن!
تجاهلني تمامًا، وكأنها لا تعرفني، طوال الطريق
حتى وصلنا إلى باب المدرسة.
الأطفال، كلُّ منهم يحمل حقيبته ويصطفون طابورًا وراء طابور.
وجاءت وقفتي بجوار ناهد
ونحن نردد خلف صوت الطفل الكبير:
«تحيا جمهورية مصر العربية!»
«تحيا جمهورية مصر العربية!»
وفجأة، سقطت عين مدير المدرسة على جسدي،
وكانها كهرباء.
ارتجفتُ، وأنا على أبواب الإغماء من شدة الخوف.
قال: «مش انت الواد ابن عبد الفتاح السلاموني؟

سعدني؟!»
نعم، أنا!
«انت ميت عندنا يا بني، لسه مسجّلينك في الدفتر... ميت!»
...أنا حي، والله العظيم حي! هتصدّقوا الورق وتكذبوني؟
أبوك قال: «اكتبوه ميت»... وكتبناك!!
...أنا حي، وباحب المدرسة، والله حي!
انطلقت من عينه نظرة خبيثة،
متجهة إلى عين فراش المدرسة، الذي يعرف دوره تمامًا:
هو حامل الأطفال المسجّلين في دفتر المدرسة أمواتًا،
ويلقي بهم خارج سور المدرسة.
وهذا أول يوم في الدراسة،
أكثر من عشرين ميّثًا!
لم أشعر بجسدي الصغير،
الذي يختنق تحت إبطه،
وكأنه يحمل قطعة صغيرة.
خارج السور، قذف بي على الأطفال الميتين في عين المدرسة،
الأحياء في عين المجتمع. وكانوا عشرة من الأطفال.
بدأت أهتف بهم، وهم يرددون ورأيي:
«تحيا جمهورية مصر العربية!»
«تحيا جمهورية مصر العربية!»
ودارت المعركة بيننا وبينهم،
وكانت قطع الطوب والحجارة سلاحنا.
وأنا قائد المعركة.
هربوا جميعًا كالفئران إلى الفصول: المدرسون، والناظر.
أغلقوا باب المدرسة.
مر الطوب من فوق السور في سرعة الصاروخ،
وبين كُرٍّ وفُرٍّ، أُرهِق جسدي فاستسلم لبحرٍ من النوم أمام باب المدرسة.
ولم أستيقظ إلا على أصابع الفراش حامل الأموات،
وهي تغرز في كتفي.
طرح جسدي الصغير تحت أقدام مدير المدرسة،
والمدرسين الذين فجأة تحوّلوا
من «فراخ بيضاء لا تهش ولا تنش» إلى مصارعين على جسدي الصغير!
عاد الفراش، وقيد قدماي الصغيرتين، ورفعهما إلى السماء،

وراحت خيزرانة مدرس اللغة العربية تشق طريقها
إلى قدميَّ،
بين صمت الطلبة، وبكاء ناهد المكتوم.
أنا أنظر إلى ناهد، حبيبتي، ولا أبكي،
برغم شدة الألم.
لأنني لو بكيت أمام ناهد، لانهارت كرامتي إلى الأبد!
مدير المدرسة ينظر إلى المدرس ويقول:
«اضرب... كمان... كمان... كمان! اضرب جامد!»
التقط الفراش جسدي، مَغشياً عليه، أو مَيْتاً... لا أتذكر،
وألقى به على باب المدرسة، خارج السور.
وجاء الأطفال، وسكبوا على وجهي قلة من المياه
حتى عدت من الموت إلى الحياة.
...ويا ليتني ما عدت.
جلست بجوار باب المدرسة،
وكان يجلس بجواري العشرة الأموات،
وفي يدي قطعة من الحجر، باقية من المعركة.
أقاوم ألم قدميَّ المتورمتين.
انتظرت... على صفيح ساخن. أنا منتظر...
وها هو مدرس اللغة العربية قادم من بعيد،
يتراقص بين مدرس الرياضة ومدرس العلوم.
انتصبت واقفاً، وأنا أقترّب منه لحظةً بلحظة.
وحين جاءت عيني في عينه، جُنّ جنوني.
انطلقت قطعة الحجر من كفي الصغيرة،
في سرعة الرصاصة،
مصوّبة إلى عينيه.

وهناك، ضلّت الطريق إلى جبينه،
لتفصل جلد جبينه عن الجلد،
وتفجر سيلاً من الدماء الذي ملأ وجهه.
هو يضع كفيه على عينيه،
ويسقط على الأرض، في بحرٍ من الإغماء.
وقبل أن أفكر ماذا أفعل،
كان تفكير أقدامي الصغيرة أسرع من تفكير عقلي،
وهي تخطف جسدي،
وتطير به من على وجه الأرض.
ووراءها أقدام المدرسين،
ووراء أقدام المدرسين، أقدام الفراش،
ووراء أقدام الفراش...
أقدام ناهد، وهي تصرخ لي بأعلى صوتها، وتقول:
«اجري يا واد!
هايلحقوك يا واد
اجري يا واد
هيموتك يا واد»

التراب
روح الأرض
كتابها المفتوح
التراب
السطور اللى بين الكتاب
التراب
نور وضلمة وشوف وحجاب

كل أطفال قريتي يطمون على مرارة الصبّار.
وشجر الصبّار لا يُزرع إلا بجوار القبور،
حيث تأتى الأم وتنزع قطعة من لحم الشجرة،
وتلتقط المادة السائلة وتدهن بها حلمتى ثدييها.
هى تحمل طفلها الذى لم ترضعه منذ ساعات
بشكل متعمد، حتى يجوع،
تضع شفايف الطفل على الثدي حتى يرضع،
فيجد الثدي له مرارة أمرّ من المر، اسمها مر الصبّار.
يدير وجهه ليلتقط الثدي الثانى ليجده أمرّ وأمر.
مرة بعد مرة، يحدث هذا حتى يمتنع تمامًا عن الرضاعة،
وفى كل مرة يعلو صراخه إلى السماء،
ولا يهتم به أحد.
هكذا يُفطم الطفل فى قريتي.

إلا الطفلة رتيبة، والدتى،
حين أتت كضيفة على الدنيا
من بحر الجوع والحرمان،
هذا البحر يُسمى أحشاء والدتها،
أنهت على لبن صدر جدتى حتى آخر نقطة لبن.
فبدأ صراخها يشق طريقه للسماء،
هى تعتقد أن الحياة ما هى إلا رضاعة ليل نهار،
وكأنها جاءت إلى الدنيا بطنين: بطنها وأخرى احتياطية.
والحق يُقال، هى لا تصرخ مثل الأطفال،
بل صريخها من نوع كلكسات السيارات.

التراب كائن حى

صرخ فيها جدى وهو يقول:
 إنتِ مش بتشبعى؟
 الطفلة لا تفهم لغة الكبار،
 قطعت صراخها ونظرت إليه بدهشة،
 وراحت تكمل الصراخ.
 صوت الصراخ يزيد جنون جدّي.
 فأطلق يده تعبت في الأرض حتى تقبض على قطعة من الطوب، ليحشو
 بها فمها حتى تصمت إلى الأبد.
 ولم تجد يده إلا قطعة فحم، أي قطعة من الخشب المحترق، فوضعها
 داخل فمها وهو يقول في غضب:
 ... اخرسي. اخرسي.
 ثم نظر إلى السماء حيث يخاطب الله:
 يا ربّي، هو أنا كلّ ما أطلب منك ولد تبليني ببنت! واد يا ربّي تبعت لي
 غولة. ولد يا الله طالب منك، ولا يكثر عليك، ولد مش وحش.
 استقبل فم أمّي قطعة الخشب المحترقة في سعادة، وبدأت تتراقص
 على سطح لسانها وكأنها قطعة من اللبان.
 قطعت صراخها وراحت تشيع البسمات لوجه الحاضرين، بين ذهول
 جدّي وجدّي.
 راح جدّي يضرب الكف على الكف، وهو ينظر إلى وجه أمّي وإلى السماء
 ويقول:
 ارحمني يا رب، ارحمني.
 من هنا، عندما ينطلق صراخ أمّي، يضعون قطعة الخشب المحروق في
 فمها بدل البزّارة أو الثدي.
 ولم تترك قطع الخشب المحروق جيوب أمّي حتى بلغت من العمر
 ثمانين عامًا، وهي على فراش الموت.
 وها أنا أترك ثدي أمّي وأطلق نفس الصرخات
 التي كانت تطلقها، وكل من يمر بالشارع
 يضع كَفّي يديه على أذنيه.
 قالت أمّي لجارتنا العجوز:
 - الواد هايموت من العياط.
 قالت العجوز: ادبله في بُقّه تراب.
 قالت أمّي: التراب يسمم جسم الواد!
 قالتها وهي متوجهة إلى أرض الشارع،

وعادت بحفنة من التراب الناعم
 المستخلص من التراب الخشن.
 وضعت إصبعها في فمها حتى اكتسى من لعابها،
 ثم وضعته في التراب. وقبل أن يصل إلى فمي،
 التقطته شفاهي حتى الابتلاع. نعم، ابتلعت الصباع،
 وأرغب في ابتلاع الذراع ثم الجسد حتى أشبع.
 ينهار إسود! الواد حيلع دراغي!!
 قالت أمّي لخالتي ذكية، التي تطلق الضحكات:
 - انت بتخلفي وحوش يا رتيبة، مش أطفال.
 كانت جدتي تقول لأمّي:
 - التراب هو روح الله في الأرض،
 والأرض تنجب الزرع والأشجار والفواكه،
 فكيف لا تنجب الإنسان وتغذيه؟!
 ولم أعرف إلى وقتنا هذا كيف يأتيني هذا الصراخ،
 ومن أين؟!
 هل هناك بحر من الصراخ لا نراه؟
 ينهلُ منه الأطفال صراخهم؟!
 ها أنا في منتصف الليل أصرخ، ويعلو صراخي
 حتى أوقظ الجميع. طارت أمّي إلى الشارع.
 الشارع قطعة من الظلام، غارقة
 في بحر من مياه المطر المثلجة.
 يسألها الحاج إسماعيل عمّا تبحث،
 وهو ذاهب لصلاة الفجر:
 - فيه حد عندكم عيان يا أم فتحي؟!
 - الواد بيصرخ وما بيسكتوش غير التراب.
 اندهش من الإجابة ولم ينطق بحرف.
 تدخل أمّي إلى وسط الدار، وهي تبحث عن حفنة تراب مستخلص من
 الحصى والتراب الخشن.
 تضعه في فمي حتى ينقطع الصراخ،
 ويغمرنى النوم وأنا أرمي آخر بسمّة
 قبل أن أسقط في بحر النوم.
 حينها قال والدي:
 - قلت لك ميت مرة، خلي طبق تراب تحت راسك قبل ما تنامي.

جاءت أمي بطبق من التراب، وبدأت تصبه في عمق الجرح حتى اختفى بالتراب تمامًا، وكفنته بقطعة من القماش القديم. في اليوم الثاني كشفوا على الجرح، وكأنه اختفى، ولم يبقَ منه إلا القليل. في اليوم الثالث كشفوا على الجرح، ولم يجدوه... ولم يجدوا له أثرًا! وحتى وقتنا هذا، لا أعرف السر الذي بين جسدي وبين التراب!

- الواد بيغضب على التراب البابت. نعم، أمي لديها الحقيقة. أنا لا أطبق التراب البابت لا من قريب ولا من بعيد. لأن التراب عندي مثل الفاكهة إذا باتت، حُمضت. ولو مر على التراب عدة ساعات ولم يدخل فمي، أَلْفْظْه تمامًا وأطلق الصرخات. لا أتناول إلا التراب الذي يخرج لتوه من جسد الأرض، تراب حيّ وليس ميتًا. وحين تقدّم بي السن إلى الأربعة أعوام، أَدْمَنْتُ التراب. وأنا آسف، «ابتلع» شيئًا من التراب. قالت في فزع: - ينهار أسود! فيه حد في الدنيا يبسف التراب؟ تموت يا واد! ما تخوفنيش منك. هذه الجملة سقطت على روحي كالسيف. من يومها قاطعت التراب، ولا أتناوله إلا سرًّا. وهناك سر دفين: لا هو للنشر، ولا للكتابة. وسوف أعيش به وأموت به. وهو: حين أسير على جسر البحر الذي يعلو قرיתי أنا وأصدقاء رحلة العمر، بين أطباء وموظفين وفلاحين ومدرسين وأسطوات، وتهب الرياح وهي تقذفنا بالأتربة، الكل يُخفي وجهه... إلا أنا. فقط أغمض عيني، وأفتح فمي على مصراعيه، وأنا أحمل التراب على سطح لساني في سعادة، ما بعدها سعادة ولا قبلها سعادة. والآن نعود للطفولة مرة أخرى: حين كنت في الخامسة من عمري، وسقط سن الفأس على قدمي، ليشقه نصفين، وتتفجر أوردة الدم لتغطي الأرضي بدمائي. صرخ والدي، ومن ورائه أمي، يلطمن الخدود خوفًا على حياتي التي ستسقط في بحر الموت بعد قليل. قالت جدتي: - احشوا الجرح تراب. قالت أمي وهي تبكي: - بتقولي إيه يا أمي!!! قالت جدتي: - املي الجرح تراب يا بت...

حياة في موت موت في حياة سكوت في كلام كلام في سكوت حياة ولا موت

عشرات المرات يُحذّرني فيها والدي
أن أبتعد عن ناهد، ولو رأيته معها مرة ثانية
سوف يقوم بقتلي، حتى لو كان فوق سطح دارهم
أو دارنا، أو في أي شارع كان.
وها نحن الآن في الطابق الثاني من دارنا،
نبني البيت، والغيط، ونزرع الأشجار.
وناهد تلتقط كوب المياه من شقيقتي سعاد وتروي به الغيط
والبيت، والأشجار تقيمها بالعيدان الكبيريت المحروقة
من الأطراف. وأنا أزرعها كل حين بأصابع ناهد
التي أنعم من الحرير الصافي.
ها هي الكوشة، والمعازيم، والمأذون، والفرج.
وها هي شجرة العشاق، والترعة، والبيت،
والطفل الصغير اللي هو حلمي وحلم ناهد.
قالت ناهد:
- ده مش اسمه الغيط، في كتاب المدرسة اسمه الحقل.
نظرت لها بغيظ وقلت:
- الغيط!
.. على الطلاق لأقتله! سيبي إيدي يا مرة ...
.. ينهار أسود، هذا صوت والدي قادم
من جوف الدار للطابق الثاني،
ليشّق صمت الغرفة.
اتفزع الصمت، مفزوع، مرعوب، مهزول
من صوت والدي
-على الطلاق لأقتله...!
عيون ناهد وشقيقتي ينظرون في عيوني حتى يستشفوا ما فعلته من
إجرام

العودة من الموت

حتى يقرر والدي قتلى
 - أبوس إيدك، عَدَّيها المرّة دي...
 هذا صوت أمي، الذي يحضن صوت والدي
 ويترجاه ألا يقتلني .
 رُتبت جسدي، وقررت حين ألمح جسد والدي في باب الغرفة
 سوف أقفد من شباك من الطابق الثاني إلى أرض الشارع
 لأن موت الشارع أرحم من كل موت وأبشعهم
 موت قبضة يد والدي،
 لأن قبضة يده مصنوعة من الخشب اللين
 والحديد، والصاج، والمسامير،
 بحكم مهنيته كنجار نجّار السواقي.
 فهي في الضربة الواحدة تقتل ألف مرة ومرة.
 ...
 هذا الصوت الذي يطلق الآهات أعلى من صوت أمي، ومن صوت
 والدي.
 أعرفه تمامًا، كما أعرف بصماته،
 ولا يخرج إلا من شقيقي الأكبر فتحي.
 انطلق من الضربة التي رجّت جدران البيت.
 ...
 كأن قطار صدمه وطرحه أرضًا
 فانطلق صوته للسماء!
 حملت جسدي الصغير على أطراف أصابعي،
 وتوجهت بيه لنهاية السلم،
 وأرسلت نظرة سريعة لصحن الدار.
 رجعت النظرة في جزء من الثانية،
 حاملة جسد شقيقي الأكبر مقتول
 بقطعة من خشب السنط الثقيل.
 أمي واقفة عند رأس شقيقي المقتول،
 وفي يدها اليمنى مقص الشعر.
 طار جسدي واحتضنتها،
 وأنا أترجأها: ألا تقتل والدي الذي قتل شقيقي وهي لا تستجيب لرجائي
 جسد أمي لا يتحرك؟؟
 أدّرت وجهي لوجهها،

فانهار على جسدي وعلى جسد شقيقي
 جبل من الشعر الأسود شعرها الذي يتساقط كموج البحر من قبضة يدها
 ليغرق جسدها ويسقط على وجهي وعيوني
 نظر والدي إليها نظرة غضب وهو قابض على قطعة الخشب التي قتل
 بها شقيقي
 الدم هرب من وجه والدي.
 وضعت كف يدي الصغيرة على وجهي الصغير حتى لا يدخل شعر والدتي
 عيني،
 وأنا أفكر في عفريته شقيقي بعد دفنه،
 سوف تأتي لي ليلا وهي تقول
 «إنت اللي قتلتني!»
 أنا في رعب من وجه شقيقي وهو حي وعيونه التي ترعب الأطفال
 ما بالكم بعيون عفرته وهو ميتا
 طك..طك. طك..طك
 هذه طرقات تدب على وجه باب دارنا جاءت لتشق الخوف والفزع
 والرعب
 لكن فجرت فزع من نوع آخر
 إنها طرقات البوليس.
 دقائق من الآن،
 ويقبضون على جسد والدي ويسلسلونه بسلاسل من الحديد ويقيّدونه
 في زيل الفرسة ويطفون به شوارع قريتي
 .
 قام والدي مفزوعا،
 وحمل جسده على أطراف أصابعه
 واتجه به ناحية باب الدار،
 وهو ينظر من ثقب الباب على البوليس،
 فإذا هو عمي سعد، شقيق والدي وتوأم روحه.
 دخل عمي إلى جوف الدار، ويده تلطم الخدود،
 ويصرخ صراخ مكتوم:
 وطى صوتك يا سعد انت كلكم عايزين تسجنوني - مين اللي قتل الواد يا
 عبد الفتاح؟
 طار بأقدامه على زلعة الميّا،
 وعاد بها إلى جسد شقيقي الميت،

وأفرغ كل ما فيها على وجه شقيقى المقتول.
شقيقى أخرج «شجرة» أطول من متر ونصف متر للسماء،
وبعدها أنطلقت مجموعة من الشخرات وراء بعضها وكل شجرة أطول من شقيقتها
شكلوا سيمفونيات من الشخرات،
صاعدة لسقف الدار.
طار والدي على الباب وفتحته على مصراعيه،
وعمي طار للداخل حيث زريبة الحمامة وعاد بها،
حملوا جسد شقيقى الذى يشخر على ظهر الحمامة
مرتخيا على جسد عمى
ومتجهين ناحية المستشفى.
ونصف أهل قرىتي وراهم،
وهم يتلصصون بأذانهم،
وأبلغوا النصف الثانى من القرية بهذا الحدث.
وها هم وراء الحمامة التى تحمل عمى و شقيقى
وهو يطلق شخراته للسماء.
جلست أمام الدار كحارس لها،
وبعد ساعات،
لمحت شقيقى الأكبر المقتول هو الذى يقود الحمامة وحده،
وراءه عشرات من رجال قرىتي،
من فلاحين لموظفين،
يتقدمهم عمى سعد
دقائق من الآن وتشتعل رابية النار أمام الدار
وكل أهل قرىتي يجلسون بجوار والدى لينهون على سجائره
كما ينهون على شأى الدار وبنها وسكرها كعادتهم.

البحث عن العبقريّة

العبقرية شيءٌ موجودٌ داخل الوجود وخارج الوجود لكن مش موجود

إسحاق نيوتن... دا كان راجل عبقري.
يجلس والدي على باب الدار كالعادة،
بين جمع من الفلاحين، يجلسون حول النار التي تطلق أعمدةً من الأدخنة
إلى السماء،
وتهلك ميزانية الدار،
ما بين السكر والشاي وسجائر والدي.
على الجانب الآخر، أجلس وحدي،
لأتصفح أقدام كل من يمر بالشارع.
إسحاق نيوتن... دا كان رجل عبقري.
انطلقت هذه الجملة من مدرس لزوجته
الموظفة بالمجلس المحلي لمدينة الشهداء.
هذا السطر الخطير يشق صمت الشارع،
ولم يستقر إلا في أذني،
ومن أذني يشق طريقه إلى قاع رأسي،
ليتحول كقرص الفوار في سماء عقلي.
رفعت وجهي لأعلى لأرى وجه قائله،
لكن، من حيث التأكيد، لم أرَ إلا ظهورهم.
أدرت وجهي إلى الأرض، لأتابع أقدام البهائم، والماعز،
والحمير، والقطط، والكلاب...
هرّباً من وُشوش البشر.
وها هي الدنيا وعالمها... ما هي إلا أقدام.
ولكن، كلمة «عبقرية» تحولت في رأسي إلى جنين
يتعملق في عقلي، وكاد أن يطيح برأسي.
هل هي اسم سيّدة؟
أم شجرة؟
أم تفاحة؟

أم شيطانة؟!
ماذا تعني كلمة «عبقرية»؟
يعني إيه إسحاق نيوتن؟
... يابا، يابا، يعني إيه عبقرية، يابا؟
ما ترد؟
... أمك ما دخلتنيش المدرسة.
انفجر الجميع بالضحك،
وكلام والدي لا يعني إلا شيئاً واحداً فقط:
وهو أن «العبقرية» لا توجد إلا في كتب المدارس.
قممتُ منتصباً، وكأنني أبحث عن شيء.
هذا الشيء هو شيشبي، أي حذائي،
الذي لم ألبسه منذ أسابيع،
ولا يُلبس إلا في المناسبات
والأعياد، أو حين نحلّ ضيوفاً عند الآخرين.
وها هو حذائي، الذي يحمل جسدي متوجّهاً به إلى
مسجد الناحية البحرية، وهو مسجد «الشحايتة».
بعد قليل، سوف يتوضأ جسدي،
ويترجى الله أن يشرح له كلمة «عبقرية».
وسبحانه لا يجيب عليه،
لأنه لم يستجب لأي دعاء دعاه جسدي من قبل،
فكيف يستجيب لهذا الدعاء؟
جسدي الآن يكسر كل توقعاتي، وها هو يبحث بعينيّه فوق المنبر وتحتّه،
وبجواره، باحثاً عن شيخ المسجد... ولم يجده.
خرج جسدي في توتر! وإلى أين يتجه؟ لا أعرف!
لكنه يشق طريقه إلى الشارع القبلي، متوجّهاً ناحية بيت الشيخ.
الآن يقف أمام الباب ويدق عليه كأنه رجل في سن العشرين، وليس ابن
الست سنوات ونصف.
هل تفتح له زوجة الشيخ؟ التي يكسو وجهها غضب الله وندم الشيطان؟
نعم، نعم، الآن تفتح له، وتظهر بوجه قرد، والغضب يملأ عينيها.
- عايز إيه يا سعدني؟
- عايز أبويا الشيخ.
- عايزه في إيه يا سعدني؟
- إنّي مالك إنّي؟

الآن جسدي يطير إلى الشارع القبلي. إلى أين؟ لا أعرف.
هو الآن يقف على باب المدرس المتزوج من موظفة.
ما هذا الجنون؟ أنا لست متأكدًا من هذا المدرس.
وبدأت أطرق على الباب بثقة رجلٍ يحمل من العمر عشرين عامًا، وعمري
لا يتجاوز الست سنوات.
هل يفتح لي أحد؟
نعم، نعم، ها هي الموظفة تفتح لي وتستقبلني بابتسامة عريضة، وكأنني
طفلها.
- الأستاذ موجود؟
- اتفضل يا حبيبي، اتفضل. دُخِّلوك المدرسة ولا لسه؟
- أبوي قال لهم: «اكتبوه ميت».
- أجيب لك تاكل؟
- الأستاذ فين؟ عايزه ضروري.
- عايزه في إيه؟ فيه حاجة؟!
عايز أعرف كلمة «إسحاق نيوتن». وكلمة «عبقري».
انفجرت ضاحكةً وكأنني ألقى نكتة لم تتوقعها.
والحق أقول: تمنيتُ أن تضحك ألف مرة ومرة،
بوجهها القمري. ونظراتي تخرق عيونها ووجهها.
- ينهار إسود! إنت بتبص لي كده ليه يا واد؟!
جاء الأستاذ من الغرفة الداخلية،
خرج على الصوت،
وهي تحاول أن تلملم توترها واحمرار وجهها،
وتخفي ارتباكها.
طرحْتُ عليه السؤال،
راح هو الآخر يطلق نفس الضحكات،
والفرق بين ضحكاته وضحكات زوجته،
أن ضحكاته تميت القلب وتقطع النفس،
أما ضحكات زوجته فعبارة عن نَغَمٍ يُحيي القلب.
احمرار وجهي خجلًا وكسوفًا جعله يختصر ضحكاته،
وهو يحاول أن يتمالك نفسه ويقول:
- شوف يا سعدني،
فيه ناس عباقر، وناس عاديين،
رائد فضاء مثلاً عبقري، علماء الفضاء عباقر،

والعبقرية من عند الله، تأتي من تحت عرش الرحمن.
قال: فهمت حاجة من اللي قلته؟
قلت: فهمت.
قال: فهمت إيه؟
قلت: فهمت إني لازم أمشي الآن.
انفجرت زوجته بالضحك،
وكانت ضحكاتها هذه المرة كطلقات الرصاص في عيني،
وهي تُقسم بأنني لست طفلًا.
رأسي على وشك الانفجار،
وجسدي الصغير متجه إلى باب دارنا،
وهو غارق في بحر من الحيرة.
والآن سوف تحدث مصيبة كبيرة، استرها يا رب.
جلستُ أمام باب الدار وأنا أنظر إلى والدي في غضب،
لأن والدي حرمني من التعليم،
وهو الذي وضعني في هذه الحيرة،
وكل من هب ودب يضحك ويسخر مني.
نعم، وأنا أقسم بأن والدي هو الذي حرمني من التعليم،
وقال لخفير القرية: قول للناظر اكتبوه ميت.
ابني مات.
وها هو جسدي يتذكر...
وفجأة أطلقت الصرخات كطلقات الرصاص
تضرب في جوف السماء.
جسدي صعبت عليه نفسه.
والدي لم يفهم هذا،
قفز من مكانه،
وهو يرسل لي الضربات في جميع أنحاء جسدي،
وهو يقول: بتعيط ليه؟ قرصك تعبان؟
قرصك تعبان؟!
عاد والدي إلى حيث كان
وجاء إلى جسدي رجل طفيلي
يستولي بشكل يومي على سجائر والدي،
ويُخفي سجائره في جيب الصديري مستغفلاً والدي...
ضمني إلى صدره وهو يقول:

- صلّ على النبي، صلّ على النبي.
بتضرّبه ليه يا معلّم؟
قال: والدي عايز يروح المدرسة،
وأنا زي ما انت شايف، طافح الدم
علشان أكفّي أكل إخوانه.
قال الرجل الطفيس، وعيناه تترقرقان بالدموع:
- لا حول ولا قوة إلا بالله.
ثم نظر إليّ ووجّه السؤال الشهير عند كل طفل:
- سعدني، لما تكبر نفسك تطلع إيه يا إبنى؟
قلت دون تردّد:
- أنا...
أنا...
نفسي أطلع رائد فضاء،
نفسي أطلع عبقرى.

إبن عفريت

العفاريت تجري على الشط، في الشوارع، في الغيطان، في البيوت... إحنا عايشين في الحياة ولا في موت الموت؟

في الأيام العادية تأتي الشكاوى في حقي من جميع أنحاء قريتي:
الشارع القبلي مثلًا، أو شارع الرحابية،
أو الشارع البحري.

ولكن، لم تأتِ شكوى طوال الخمس سنوات التي عشتها
من خارج القرية،

إلا هذه الشكاوى التي جاءت من قرية عزبة الحناطرة،

وهذه القرية، كما يُشاع في ريف مصر،

أبشع وأشرس وأعنف قرية في القرى، كما يقولون.

واندهشت جدتي من هذه الشكاوى!

وكيف وصلتُ إلى هذه القرية

التي تبعد عن قريتنا عشرة كيلومترات؟!

الحق أقول:

إن قريتي لا تعرف طريقًا للحوم

إلا في الأعياد، أو عند الميت في العزاء، أو في الأفراح.

وكان هناك فرحٌ على جسر البحر،

والأطفال في صناديق السيارات،

قفزنا معهم، وورائي عبد الفتاح فونيا وسعيد أبو زيد الذي نثير غضبة

بسعيد السفاح وهو يرد بسعدنى كسح.

ولا نعرف من أين جاء هذا الفرح

أو إلى أين يتجه!

فرح يعني لعب ولحوم،

تركنا أنفسنا

حتى وصلت بنا السيارات إلى عزبة الحناطرة.

وهناك، تشاجر معنا عدة أطفال،

فهم غير راغبين في وجودنا.

ودخلنا مع الرجال على الصواني،

نظر إليّ والد العروسة وهو يقول:

- إنتوا تبع مين يا واد؟

قلت: العريس.

وطبيعي أقول لشقيق العريس الأكبر حين سألني:

- تبع أهل العروسة؟

قبضت يدي على قطعة من اللحم أكبر من فمي،

ولا أعرف كيف كتمت أنفاسي وأنا أقاتل

من أجل أن تدخل أو تخرج،

وأنا بين محاولاتي، سمعنا طلقًا ناريًا مكتومًا!!

جاء في صدر العريس،

من أحد أبناء أهل العروسة.

وكانت قعدتي بجوار والد العريس الكاره لأهل العروسة.

الكل، في أقل من ثانية،

ترك الصواني وطاروا إلى الخارج،

إلا أنا وسعيد وعبد الفتاح،

وبعد دقائق، ونحن نستمتع باللحوم وحدنا...

جاء والد العريس، ونظراته كلها غضب.

وطار بقدمه اليمنى التي لم تستقر إلا في جانبي، وكادت أن تفتك بي.

قال: «هو حد جاب لنا الفقر غير العروسة؟ وأهل العروسة؟»

قلتُ، وأنا أطيّر من أمامه، وكانت يدي تقبض على جانبي:

«أبوك... على أبو العروسة!»

من هنا جاءت أول شكوى من هذه القرية إلى جدتي،

فراحت تقصّ عليّ قصة الجن وسيدنا سليمان، ملك الجن.

قالت: الجن يُخاوي الإنسان، وينجّب منه إنسانًا...

ثم يتزوج الإنسان من سلالة الجن، فيُنجب عفريتَه من جنس الإنسان.

والعفاريت أنواع:

هناك عفريت من الجن، وعفريت من العفاريت.

أما أشرس العفاريت وأعنفها، فهي «عفريته» الرجل الطيب.

حين يُقتل، يأتي عفريته من قبره، لينتقم له من كل الأطفال، لأنهم أبناء

الكبار الذين قتلوه.

وكل هذا الجن وهذه العفاريت مقرّها في «رأس الحناطرة».

وإيّاك وإيّاك أن يراك العفريت عند الرأس!

يرفعه ويقذفه إلى السماء وهو يقول:
«خُده يا رب، يا رب خُده يا رب!»
لم يعد جسدي إلى المركب كما كان والدي متوقعًا،
بل سقط في منتصف البحر، بين الأمواج العالية التي يكسوها الظلام.
جسدي والموج... غارقان في الظلمة. المياه مثلجة.
وكل حينٍ وحينٍ، يأتيني صوت والدي وهو يقول:
«عُوم ضد التيار ياد... عُوم ضد التيار ياد...»
«أنا مش باعرف أعوم يا با!»
وراحت موجة تخطفني، لتلقي بي إلى أخرى،
وجسدي يظهر للظلام على وجه المياه، ويختفي!
حتى جاءت آخر موجة، التي خطفت جسدي وجذبتَه لأسفل بجوف الظلام...
وحتى الآن... لم أعرف إذا كنتُ ميتًا أم حيًّا!

الموت على الموت

بتشوف الموت،
بتشوف الموت وتكلمه،
وهو سامع،
الموت بيتمشى مع الموت،
وللبوت طالع،
والموت الكبير واقف،
مستنيهم على باب الشارع.

نعم، هي روجي. لأ، أنا روحها. لأ، روح واحدة في جسدين.
أنا آخر العنقود، آخر أبناء بنتها، والذي أعز من الولد ولد الولد، كما يقولون.
وهذا اليوم تختتم به عمرها الذي تجاوز الثمانين عامًا، ثمانين عامًا من
الشقاء. تعيش ولا تعرف الشكوى، وحين يشتد عليها ألم الروح تبكي،
وتبكي وتبكي.

والآلام هي رمل الروح، والبكاء لا يستطيع أن يطيح برمل الروح.
الرمل لا يحرقه إلا التعديد «العديد». نعم، نعم، الغناء هو الذي يحرق رمل
الروح.

وجدتي أكبر معدّدة للمياتم، والتعديد في قريتنا يغسل رمل أرواحنا، لأنه
خلاصة الشعر، خلاصة الغناء، خلاصة الطرب.
وبرغم أنه مصدر رزقها، إلا أنه يحتل المرتبة الأولى في حياتها عندما يشتد
عليها ألم الروح، لأنه روحها، حزنها وفرحها، جرحها وحلمها وكابوسها، هو
جرحها وشفائها.

وكل حين تخطف ابنتها - التي هي أمي - إلى صحن الدار، ويغلقون
كل الأبواب خوفًا من أن يأتي والدي فجأة ويجدهم يعددون. يحررون
رؤوسهن، وكل واحدة تجلس في مواجهة الثانية، وجدتي تعدد وأمي ترد

بين بحرين من الدموع:

- بيعايرني بيك يا أمي...

- يا ساكنة روجي وساكنة دمي...

- يعايرك بيا يا بنتي ليه؟

- صنف واطي ابن واطي

والوساخة أصل فيه

--بيعايرنى بيك يا أمي...!!!!

- بيعايرنى وأعمل إيه؟

جدتي تقصد والدي، هو من عائلة واطية حسب قولها، لأن والدي يكره
التعديد كرهه للموت، منذ جاء إليه أحد علماء الإسلام بقريتي وقال له:
- لَمْ حماتك يا عبد الفتاح، العديد يحرق الميت في قبره، دا حرام، وسوف
تتحمل وذره، أنت أمام الله والملائكة.
قام والدي مفزوعًا من جوار الشيخ، متوجّهًا لأمي، وكاد أن يفتك بها،
وهو يقسم بالطلاق ثلاثة وأربعة، حسب قسمه، لو سمع عديد جدتي في
الشارع أو عند ميت أو في الحمام أو فوق السطح، سوف تكون طالق
بالثلاثة والأربعة.

ولهذا كانوا يعددون سرًا من وراء باب الدار.
والحق يُقال: بعد كل تعديد تصغر جدتي عشرات السنين، وتعود إلى
صباها وكأنها بنت بنوت لم تتزوج. وحين ينظر لها والدي يعرف على
الفور، حين يراها متماسكة والجمال يكسو وجهها وبحور الفرح والأمل
تملأ عينيها:

- كنتي بتعديدي فين يا مرة؟

- أعدد فين؟ ما أنا قدامك أهه، والنبي يا أبو فتحي ما عددت ولا حصل،
أتسبب في طلاق بنتي يعني؟

ينظر لها والدي في خبث ويقول: ماشي.

التعديد روحها، وهو الذي يجعلها تنتصر على كل أحزانها وأفراحها

وهزائمها أمام الحياة. تقاوم القهر وحزن ورمل الروح بالتعديد.

وحين يموت أحد في القرية، أكون عكازها وعيونها التي ترى بهما، وها

نحن ذاهبان إلى أهل الميت، وها هو رجل بلحيته ينظر لجدتي ويقول:

- أعوذ بالله من غضب الله، امرأة وش فقر.

تسمعه جدتي وتنظر له بطرف عيناها ولا تهتم.

والآن، في طريقنا إلى بيت أهل الميت، وقبل أن نصل إلى البيت بعدة
أمتار، سوف تتخلص جدتي من يدي الصغيرة، وترفع ذراعيها إلى السماء

وكانها تخاطب الله في شيء ما، وتقول:

- اتخطف شاب، خطفوه عرسان السماء، صوتي يا بت، صوتي حتى

البكاء.

تجري إليها نساء القرية، تتقدمهن نساء الميت، يشكّلن دوائر خلف

دوائر، وهن يرددن وراء جدتي:

- ابكي عليه وقولي دا كان راجل شملولي،

- ابكي عليه يا صغيرة،

- روحه طالعة منورة.

جدتي تشعل حفلة الموت، وتتركني تمامًا كعادتها، وأنا أقوم بدوري في البحث عن أطفال الميت لألعب معهم. حتى تنتهي جدتي من التعديد وتناديني، وهي تضع يدها في يدي لأكون عكاظها وعينيها، وتأتي زوجة الميت وتضع عدة قروش في يد جدتي، ونتجه إلى الدار. والحق أقول: الميت في قريتي لا تُقاس قيمته بالغنى أو الفقر، لا، والفلوس لا، بل بكمية العديد وكمية الصوات. وجدتي قبل التعديد غير بعدها، قبل كنت أسحبها وكادت تسقط مني على الأرض في الشارع، وبعد التعديد هي التي تسحبني وكادت أن تطير بي من على وجه الأرض. وفي آخر أيامها، حين تقدم بها السن والتزمت فراش المرض - مرض الالتباس - تناديني مرة باسم شقيقتي، وتنادي شقيقتي باسمي، ترى أمي على أنها والدي والعكس. تقول لأمي: - اطلعي يا اللي تنشلي في قلبك. يرد والدي ويقول: - نفسي أعرف ربنا مش بياخد روحك ليه؟!؟ حينها تنتبه أنه والدي. كل الصور البصرية تختلط في ذهن جدتي، وهذا لم يحدث في البيت فقط، بل أول ما حدث، حدث عند أهل الميتة، حين التفت عليها النساء ليقمن بحق الميتة، وبدأت جدتي تقول: - اتخطف شاب... جاءت سيدة لأذن جدتي ونبهتها: - الميت واحدة عجوزة يا هانم أم محمد، ما تفضحيناش. وحين تكرر هذا عدة مرات، تندب على الميت على أنه ميتة والعكس، قررت نساء القرية ألا يدعونها لأي ميت، خوفاً من الإخراج. وها هي على فراش الموت، ترى عملاً مجهولاً يقف على باب الشارع، وهي تقذفه بأفطع الشتائم، تناديه بالموت: - روح يا واد، شوف الموت على باب الشارع، الموت هاخطف روح جدك جوزي حبيبي، حوش حوش حوش، ابعده يا موت. ينظر والدي إلى جدتي ثم ينظر لأمي ويقول: - أمك بتخرف، الظاهر إنها سخنة، تخريف سخونية. جدتي تعشق زوجها، وهو يعشقها، ولكنه هجرها لسبب ما، ولا يعرف أحد أسباب الفراق. - أبو فتحي، أبو فتحي، قوم حوش الموت، الموت هاخطف روح جوزي

حبيبي، قوم قوم ابعده يا موت. - هو فين الموت يا هانم؟ هو لو فيه موت في الدنيا كان ساب روحك؟! - الموت دخل الدار، ابعده، ابعده. منذ أسبوع وجدتي لم تخرج من فمها جملة صحيحة، فهي تنادي على أسماء الأموات طول الوقت. اندهش والدي لالتباس ذهنها، طار وهو في قلق وحيرة إلى بيت جدي والد أمي، وبعد نصف ساعة رجع والدي رجلاً آخر، رجلاً في انكسار شديد، كاد أن يُغمى عليه. وأمي تقول له: - مالك يا أبو فتحي؟ - فيه إيه، مالك يا معلم؟ بدأ ينظر لجدتي بدهشة، تحمل عشرات الاعتذارات، ثم نظر لأمي في دهشة أكبر، وهو يقول لها: - الباقية في حياتك، أبوك مات.

في عشق الأطفال

البنّت اللي بتطلع لي ساعة نومي،
تجري على سطور كشكولي،
وتحاور فيه لحد ما أدخلها قصيدتي.
شايفها هناك .. أهّي!
شايفينها؟
بتدوس على روجي بصندلها،
بس أنا مش شايف:
اللي بين سطرين سنانها دا دمي،
ولا أحمر شفايف!

كل أطفال القرية يعشقون ناهد،
ولا يعرف أحد: مَنْ تعشق ناهد؟
شارع ناهد - برغم ضيق مساحته وعزلته
عن كل الشوارع - تجده يعج بالأطفال،
وكل عيونهم مثبتة على بيت ناهد ليل نهار.
والكل يتمنى رضا أم ناهد لتلبية طلباتها،
حتى لو كانت في نهاية القرية،
فقط من أجل عيون ناهد.
لأنها لم تولد من رحم أمها،
وبحق: لا إله إلا الله،
جاءت ناهد من رحم السماء.
طفلة من نور، كما تطلق عليها أمهات القرية.
وكل أم قبل أن تلد بشهور تتجه إلى بيت ناهد،
وتنظر لملامح ناهد،
وتحفظ تقاسيم وجهها،
حتى يأتي مولودها نسخة من وجه ناهد.
ولكن كيف تنجب القردة وجه ملاك؟!
ناهد تقسم لي بأنها تحبني.
ودائمًا ما تخاف مني، حسب قولها، لأنني أشبه الريح في غدرها.
وهي لا تترك أمي ليل نهار، تعشق أمي، وأمي تعشقها.
أنت أجمل وأطيب بنت في نادر يا ناهد.
وأنا هاجوزك لسعدني.
تقول لها أمي فيهرب الدم من وجهها من شدة الخجل، ويحل محله

يارب عيّني علشان آكل برتقال وفراخ...

ويستجيب الآن.

يارب قدرني علشان آكل برتقال وفراخ.

كانت هي دعوتي، لأن البرتقال والفراخ في قريتي يتساوون مع الذهب. البرتقال والفراخ لا تجدهم إلا في غرف الإنعاش. وحين يمرض أحد ويتوجه إليه الطبيب، يكتب له على الفور هذا العلاج: واحدة كوكاكولا، نصف كيلو برتقال، فرخة مسلوقة مع الشورية.

وهذا أهم علاج في قريتي، يعيد المريض من الموت إلى الحياة.

ولكن للأسف كل شيء يدخل حلقي يحمل مرارة، حتى المياه.

ولكن من يد ناهد يتحول المر إلى شهد.

أقاوم الآن من أجل مضغ فص البرتقال، لأنه فقط من أصابع ناهد هذا

الفص الذي أعادني من الموت إلى الحياة.

وها أنا أجلس على باب الدار بجوار والدي، وألمح بعيني ثلاثة ذئاب بشرية

من الأطفال الأشداء، كل ذئب يحمل مصحفًا، ويطرقون باب دار ناهد.

طارت أقدامي إلى هناك، ونظرات الغضب كادت أن تفتك بهم.

خرجت أم ناهد وهي تستقبل الأطفال في ارتياح، إلا أنا. وصلت وقاحتها

أن تمنع دخولي بحجة أنني سوف أعطلها عن قراءة القرآن.

ناهد تنظر لي في دلع، وكأنها فرحة بعدم دخولي.

جنّ جنوني، طارت أقدامي بجسدي الصغير إلى سطح دارنا الموازي

لسطحهم.

تضحك ناهد، والثلاثة ذئاب يردون وراءها الضحكات بسبب وبدون

سبب.

اشتد غيظي، ولم أجد شيئاً أقذفهم به إلا رؤوس البصل، وبدأت أقذفهم

بفحل وراء فحل حتى انتهيت من آخر رأس.

كانت أُمي تطبخ في الطابق الأرضي، وصعدت إلى السطح لفحل بصل،

ولم أشعر إلا بأسنانها وهي تخرم في كتفي الصغير، وأنا رافع ذراعيّ

للسماء وأقدامي تدب على الأرض وأذرت وأقول:

«باحبك يا أُمي... وناهد والثلاثة ذئاب غارقين في بحر من الضحك».

«باحبك يا أُمي... باحبك يا أُمي».

بعد ساعات، وأنا جالس أمام باب الدار فجأة،

مرّت أم ناهد وهي تقول: «العوافي يا أبو فتحي».

أذرت وجهي إليها، وهي تحمل طشتًا من الهدوم المتسخة، وناهد وراءها

بطشت أصغر، متجهتين إلى التربة، عند شجرة العشاق. ووراء ناهد بعدة

أمتار يسير الثلاثة أطفال الذئاب.

طرت وراءهم، وعند شجرة العشاق نزلت أم ناهد على حرف التربة، وها

هي ناهد وراءها، وها هم الثلاثة أطفال يتخلصون من كل أثوابهم حتى

الألبسة، فظهروا عرايا كما ولدتهم أمهاتهم، ويا ليتها ما أنجبت.

صعدوا على شجرة العشاق، وينادي أحدهم على ناهد: «ناهد». ويقفزون

في جوف المياه، وناهد عند كل قفزة ترسل لهم ضحكة.

هذه الضحكة مسامير تضرب في روعي الصغيرة.

جنّ جنوني، تخلصت من كل أثوابي عدا اللباس، وصعدت فوق الشجرة

وقررت الانتحار، دون أن أناديها ودون أن أقول: «يا ناهد، بصّي عليّ وأنا

أقفز».

ها أنا فوق الشجرة التي تعلو على المياه عدة أمتار، وها أنا أودّع ناهد بآخر

نظرة.

«ارجع يا واد... ارجع يا مجنون، انت مش بتعرف تعوم».

كل الأصوات تترجاني ألا أقفز.

نظرت أم ناهد لناهد نظرة غضب حين قالت: «يا واد»، بلهفة عاشقة،

بلهفة أم على طفلها، وعيناها تتسعان وهي تنطقها، وكأنها بنت في

العشرين.

أخذت نفساً عميقاً، وآخر نظرة، وألقيت بجسدي في وسط المياه.

مرّت دقيقة ولم أخرج، وكل العيون تبحث عني ولم تجدني.

دقيقتان... وثلاثة... وأربع دقائق... ولم أخرج.

ولا أعرف حتى الآن إذا كنت حيّاً أم ميتاً!؟

أم في قاع التربة؟

صاحي
بين موت وموت،
بين وقت خاين على
صدرك يفوت،
بين خلايق كالعنكبوت،
لا عدت عارف تعيش،
ولا أنت قادر تموت.
صاحي

الأرض هي روح الإنسان، الإنسان يشبه الأرض في كل شيء،
كما تشبهه:
تأكل وتشرب، وتموت وتحيا، وتحلل وتُحلَّل،
تستقبل وتُثمر، وإذا عطشت تشرب.
أرض قريتنا تسقط كل المناصب والرتب والمراتب العلمية،
تسقط كل سلطات الإنسان ويعود إلى فطرته التي فطره الله عليها،
ولا تبقى إلا سلطة واحدة، وهي سلطة نجار السواقي.
هذه المهنة التي تعلو فوق كل المهن.
وهنا، على باب دارنا، يومًا في الخامسة صباحًا،
نستيقظ على جموع من فلاحين وموظفين وأساتذة جامعات،
كلُّ منهم يعلو بصوته وهو يترجى والذي أن يذهب معه لتصليح الساقية
قبل أي أحد،
لأن المياه على رأس الغيط، والساقية تعطلت فجأة،
وحين تقف المياه على رأس الغيط،
فهي كارثة الكوارث، أقلها موت الزرع.
تعلو الأصوات، وكل صوت يقاتل من أجل أن يصل لقلب والدي،
وعلى والدي القرار والاختيار.
وهذا ما يحدث يوميًا، لأن ليس هناك نجار سواقي في القرية غير والدي،
الذي ورثها عن الآباء والجدود.
والناظر للموضوع بدقة يجده بسيطًا، لكنه معقد كل التعقيد،
لأن هناك كوكب الأرض يوازيه كوكب المياه،
والجسر الممتد بين الكوكبين هو الساقية،
التي تحمل على ظهرها خمسة عشر قادوسًا.

يد من خشب ومسامير

وكل قادوس يتكون من الحديد والصاج والمسامير والخشب اللين، وكل قادوس متصفر بشقيقه على ظهر الساقية التي تشبه دائرة الزمان. وحين تدور بأمرٍ من دفعات أقدام الجاموسة، تدفع أول قادوس إلى قاع البئر ليمتلئ عن آخره بمياه صافية، أصفى من صوتها الذي يقول: قوش... طوش... طوش... ثم تنطلق طوابير الطرطشات، وهي صاعدة إلى فوق، تتراقص على أنغام الدروس وإيقاعات أقدام الساقية والقادوس، في حالة من السعادة، وهو يدفع بشقيقه إلى أعلى، والكل يعزف بطريقته، حتى يصل أول قادوس إلى قم الحقل المفتوح على مصراعيه وفي انتظار المياه. القادوس يفرغ كل ما فيه من مياه في جوف الغيط التي تقول عنه ناهد الحق، الذي بدوره يوزع المياه بالتساوي على باقي أعضاء جسده، ليرتوي الزرع، ويرتوي الإنسان. وفوق ظهر الغيط تفتersh المياه وكأنها بحر، فتهل عليها الكلاب واليمام والثعابين والعصافير، والحمير والجاموس والقطط والفئران والإنسان، وصديق الفلاح «أبو قردان»، والكل يرتشف منها في سعادة. كل هذه المخلوقات تعيش على مياه الساقية، وكل هذا وراءه قبضة يدٍ وعقل المعلم عبد الفتاح السلاموني. هذه القبضة تدخل على جسد الساقية الذي يعاني مرضًا ما، فتبحث فيه حتى تقبض على الميكروب الحديدي أو الفيروسات الخشبية. الساقية تتكون من الحديد والخشب والمسامير والصاج، ومن يخلص لهذه المهنة تخلص له، يعيشها وتعشقه، ويتشكل بها، حتى يتحول جسده إلى صاج وحديد ومسامير وخشب، مثل قبضة يد والدي، وكأنها أنجبت من رحم الساقية والدي الابن الشرعى للساقية. من هنا اكتسبت يد والدي شهرتها، ودخلت تاريخ القرية من أوسع الأبواب، لدرجة أن شهرتها وصلت إلى حمارتنا السوداء الشرسة،

التي حين ترى يد والدي قادمة من بعيد، كل ما بها يرتجف رعبًا.

وكل هذا من قبضة يد والدي وخشونة صوت فمة، لدرجة أنها حفظت بصمات صوته، وتعمل له ألف حساب وحساب، تميزه عن باقي الأصوات.

عرفتُ هذا حين دخلتُ عليها في ظلمة الليل وأنا أُلد صوت والدي: هُشّش... هُش... اقفي يا حمارة، هُش... ضربة في قلبك! ولم أعرف كيف اكتشفت صوتي. وفي جزء أقل من الثانية، طارت أقدامها الخلفية، واستقرت في صدري، ليطير جسدي ويضرب الجدار المقابل، وأنا أصرخ:

الحقني يا باه... الحمارة موّتتني يا باه... آه... آه... آه...!

...

وبرغم كل هذه السلطة، كان والدي يدرك أن مهنة السواقي لا تدوم، وهي في طريقها إلى الانقراض، وسوف يحل محلها جسد آخر بمهنة أخرى.

من هنا قرر أن يعلمني صنعة تدوم، لمستقبلي ومستقبل أولادي. وها نحن جالسون على باب الدار، وفجأة - لأن والدي كل قراراته مفاجأة - التقط جسدي الصغير من على وجه الأرض، وأطاح به في الهواء، ولم يستقر إلا فوق ظهر الحمارة، وقفز هو ليتقدم جسدي، وألف ذراعي على خصره، متجهين إلى ورشة المعلم أبو زيد الهلالي، أشهر نجار باب وشباك، وصاحب أطيب قلب. - عنده كام سنة يا معلم عبد الفتاح؟ - عنده خمس سنوات يا معلم أبو زيد، وداخل على الستة. تركني والدي وذهب إلى حال سبيله. الورشة كالسجن.

قال المعلم في سخرية: «الورشة مش عجبك!؟» نظرتُ له وقلت: «يعني... هو يوم أسود من بابه. بس الحياة قدر.» خلي بالك من الورشة على ما أصلي وأرجع. اتجه ناحية المسجد، وقبل أن يختفي جسده، دخل رجل غريب وبدأ يتفحص العدة،

قبض على المنشار والقادوم والفارة والرابوه والأزاميل والمفاتيح،
وقال: «تبيع يا معلم؟»
قلت: «بايع، هات أي فلوس.»
قبضت يدي على القروش، وطارَت أقدامي بجسدي الصغير إلى أرض السوق،
حيث الملعب.
سقطت في بحر اللعب،
وأنا متشابك في الهواء مع جسد عبد الفتاح فونيا،
وطرنا معًا في الهواء حيث تطير الكرة،
وقبل أن يهبط جسدي إلى الأرض منتصرًا،
تلقفته يد والدي الحديدية، وكادت أن تفتك بي،
وهو يقول: «فين الفلوس يا ابن الحرام؟!»
وهو يكيل لي الضربات في جميع أنحاء جسدي،
وعشرات الأيدي تقاوم من أجل تخليص جسدي منها،
ولا تستطيع، حتى جاءت ضربة الموت التي أفزعت روعي الصغيرة،
فهربت في فزع من جسدي الصغير،
ووراءها هرب الوعي، ووراء الوعي هرب النطق،
ولا أعرف إذا كنت حيًّا أم ميتًا...

من الذي طيرَ الطفل؟

طير، اخرج من قهر البشر، اهرب مع العصافير، طير،

الكل يستهين بالروح، هذا العملاق الخفي الذي لم يره أحد، برغم أنه يسكن كل شيء. جسد الإنسان لا يسير إلا بالروح، الشارع لا يحيا إلا بالروح، الوطن والأوطان، الكون يسير بالروح. ولو خرجت هذه الروح - التي مقرها الإنسان - من جسد الكون لأنهار. ولذا يقولون لك: وطن ميت، وطن بلا روح، ووطن حي، وطن تسكنه الروح. فجسد خالي محمد عبد العليم، العملاق، مكسو بالروح، أو قَدَّمان تحملان روحًا عملاقة شفافة. هذه الروح عاشقة لاثنين لا ثالث لهما: أمي، وهي شقيقته، وأنا سعدني السلاموني. خالي يعمل منادياً في وكالة الحاج محمود أبو هشيمة، وحين ينادي على الطماطم أو البرتقال أو البطاطس، يعلو صوته فوق كل الأصوات حتى تسمعه كل القرى: «حمرة يا طماطم... زي الورد يا بطاطس!» رزقه الله بأربعة من الأطفال الأشداء، الذين يتعاملون مع الخبز كأنه عدو. ففكر في مهنة إضافية تعينه على قسوة الحياة. وحين كان يزور مولانا سيدي شبل استأجر مرجيحة من نوعية قادوس حديدي واحد، له أربع أقدام. وهذا النوع من المراجيح جديد على قريتنا، لا نراه إلا في الأفلام والمسلسلات. وكان صاحبها يدور بالصندوق في الهواء دورة كاملة. وحين سمعنا خبر مجيء المرجيحة، توجهت أنا وعمار الحول، صائد الكلاب، الذي له عين تنظر ناحية اليمين والأخرى ناحية اليسار.

وهناك وجدنا كل أطفال القرية ونسائها. ذهب خالي محمد للصلاة، وأوقفني حارسًا على المرجيحة حتى يأتي. صعدتُ إلى الصندوق وأنا أهتف في الأطفال: «سقفة للنبي علشان هالف بيها لفة كاملة!» الكل يسقف الآن من باب التشجيع، وأنا أدفع المرجيحة إلى السماء بكل قوتي، مرة بعد مرة، واستجابت، ودارت الدورة الأولى، وكأني خرجت من الجاذبية الأرضية وعُدتُ من جديد. لكن قوة التصفيق أعطتني قوة غريبة، وعند اللفة الثانية غدرت بي قوة المرجيحة، فقذفتني الصندوق من جوفه، وكأنه يطلق رصاصة للسماء. ها هو جسدي خارج الجاذبية الأرضية، يحاول أن يلتقط النفس من الهواء، ولا يستطيع إلا بصعوبة. بجواري حمام ويمام وعصافير تنظر لي في دهشة ورعب: كيف يطير الإنسان؟! وإذا طار، سوف يهدد حياتنا، هذا الوحشي الذي يطاردنا على الأرض والسماء حتى تركناها له واخترنا السماء. ها هو طفل من أبناء الوحوش... كيف طار؟ وفجأة جاءت قطعة من الحجارة قادمة من نبلة عبد الفتاح الأحول، كانت مصوَّبة لجسد يمامة، فضلت الطريق، واختارت صدري. نظر عبد الفتاح الأحول في دهشة: من حوّل جسد اليمامة إلى جسد سعدني السلاموني؟! وجاء خالي ليقف بجوار عبد الفتاح، وهو يضرب كفًا بكف ويقول:

«يا خراب بيتك يا محمد، هو مين اللي طيّر الواد؟!»
الآن أنا في السماء لا حول لي ولا قوة.
أرى الناس كالنمل، والبيوت الطينية كروؤوس المسامير،
وبعد قليل سوف أهبط إلى الأرض قطعًا من اللحم والعظام،
غارقًا في بحر من الدم.
وسوف يقومون بتغسيل ودفني على الفور،
ويرتاح مني كل أطفال القرية، وأمي ووالدي.
وحين اقتربت من الأرض لأكون فريستها،
تدخلت إرادة الله،
ليلتقطني سطح دار خالي المكوّن من قش الأرز،
وحطب القطن والهيث.
وقبل أن يسقط جسدي إلى السطح بعدة أمتار،
قفزت روعي من جسدي،
ووراء الروح قفز الوعي، طار النطق.
ولا أعرف حتى الآن: أنا حي أم ميت؟؟؟؟

مملكة السواقي

بين الحياة والموت هاخط كبري يعدّوا عليه الميّتين للصاحين والصاحين يروحوا للميّتين

الكل يتقرّب من والدي، وكرم والدي المفرط. فهناك من يقترب من أجل كوب الشاي وسيجارة، وهناك من يتقرّب من أجل تصليح ساقيته، والكل يحاول أن يشتري رضا بأى شكل من الأشكال. لأنه ملك مملكة السواقي على سن ورمح. والحق أقول: له أربعة أبناء وأنا خامسهم، آخر العنقود كما يقولون، في نهاية السنة الخامسة، وسوف يدخل عمري في دائرة السنة السادسة. وهو يقول: «ابني سعدني، روجي اللي أعيش بيها». يقول هذا وهو جالس على باب الدار، وبجواره حشد من الفلاحين، وعم قابيل مشعل فوانيس الشوارع يبتسم له ابتسامته الملائكية، وهو يصبّ الجاز في جوف فانوس الشارع، لأن قريتنا لم تصلها الكهرباء ولم يمسسها نور. ونحن الآن في عام ١٩٧٠، والبيوت نضاء بثلاثة أنواع من اللمبات: لمبة نمرّة خمسة، ولمبة نمرّة عشرة، ولمبة الجاز الشريط الشهيرة «أم شعلة». ولا يمر شهر على قريتنا إلا وتحدث عدة حرائق. وعلى الجانب الآخر، الموت يأتيها كل نهاية عام، لدرجة أطلقوا عليه «موسم الموت». وحين يصل الموت إلى شارع ما، الكل يراه ويراهن على الروح التي سيقبضها. تقول السيدة: «أراهن على الحاجة فاطمة على فراش الموت»، وتقول أخرى: «الحاج أحمد». وثاني يوم تراه عيون الكلاب فتعوي لتنذر أهل قريتي بدخول الموت. وعلى صوت الكلاب تحوم الغربان على سطح دار الميت.

وكانت الغربان تحوم فوق دارنا، ولا يعرف أحد أن الموت سوف يختار روح جدتي هانم عليمة، روجي الثانية. التي صرخ فيها والدي حين عادت من الموت إلى الحياة للمرة الرابعة، وقال: «طلعتي روح أبونا وفصحتينا في البلد. يا موتي يا تهدي وتصحّي، كفاية إحراج، الناس عندها مشاغل». وهذه المرة ماتت بلا رجعة. المنادي يقول: «توفيت اليوم إلى رحمة الله تعالى هانم عليمة، حماة المعلم عبد الفتاح السلاموني، والدفنة بعد الغسل». جلست بجوارها وهي عارية تمامًا، كما ولدتها أمها. وقررت أن أدفن معها في القبر. وبدأت أفكر في حياة القبر: هل هناك أطفال أحياء ألعب معهم ليلاً؟ جاءت الشيخة خضرة تتقدّم النساء، وبدأت تمارس طقوسها في التغسيل، تتخلّص ببطء من أثوابها الداخلية، وتلفّ أطراف الأثواب الخارجية على خصرها، وهي تصب المياه على جسد جدتي الميت الذي يخلو من الدم، وعيناها مغمضتان. وجاء دور الكولونيا «خمس خمسات». رائحة أفزعت الحشرات في سقف الدار، وفي نهاية الرائحة يسكن جسد الموت. رشّتها على وجه جدتي. استيقظت جدتي من الموت للمرة الخامسة، وهي تقول: «عطشانة». انطلقت زغاريد النساء احتفاءً بعودة جدتي من الموت مجاملة لوالدي. وفي ظل هذا الفرح، وجه الشيخة خضرة يكسوه الغضب من كل اتجاه، وكأنها في حالة حزن. ذهبت إلى والدي وهي تقسم له بأن الغسل تكلف اثنين من الجنيهاً. «هات لي مصحف يا معلم وأنا أحلف عليه... صابونة، وليف، وكولونيا». نظر لها والدي نظرة غضب وهو يقول: «غوري يا مرة. هو دا وقته؟ هاجيب لك منين؟ اهي عندك اهي خديها...» ذهبت الشيخة خضرة متجهة ناحية جدتي، ولأن جدتي فرحتها لا تُقدّر بمال، أقسمت لخضرة: حين يأتي أول ميت في القرية وتعدّد عليه، سيكون من هذه العين «جنبه»، ومن العين الأخرى جنبه. وجاء أول ميت والثاني والثالث والعاشر، وخضرة عند كل ميت تأتي لجدتي تطالبها بسداد الدين، حتى انهالت عليها جدتي بأفطع الشتائم، وهي تقول: «اتلمي يا مرة! غسل إيه؟ هو أنا كنت مسئولة عن موتي لو

يلزم له هداية

مت تاني ماتغسلينيش؟»
نظرت لها خضرة نظرات الغضب، وأقسمت لها أن تنتقم منها أشد الانتقام حسب قسمها.
ذهبت شهور وجاءت شهور، وطابور من الأحياء في انتظار الموت. وكانت جدتي في أول الطابور. وبكل قسوة خطف الموت روحها بقرار نهائي لا رجعة فيه.
وقال أحد الجيران في أذن والدي: «عبد الفتاح، كفاية فضايح. لازم تجيب طبيب القرية علشان نعرف دا موت نهائي ولا موت على باب الحياة؟ على الطلاق لو ما ماتتش لأموتها بإيدي... هو أنا ناقص فضايح؟»
جاء الطبيب وهو يقيس النبض من هنا وهناك، ونظر للجميع: «الباقية في حياتكم». انطلقت الزغاريد مختلطة بالصوات، واطمأنت القرية لوجود الطبيب، فالكمل جلس في الشارع باسترخاء وطمأنينة.
وجاء موتها بين المغرب والعشاء، وها هي خضرة تشق جموع الرجال وهي تنظر لوالدي بغضب، وكادت أن تفتك به.
والدي أدار وجهه خوفاً من نظرات خضرة.
صعدت إلى الطابق الثاني وهي تحمل جسدها العجوز.
أمرت النساء بإضاءة لمبة أخرى لأن الإضاءة ضعيفة حسب قولها.
تخلّصت من كل أثوابها، وعقدت أطراف الجلابيب إلى خصرها حتى لا تسقط عليها مياه الغسل.
وكل حين وحين تنظر لجدتي، وكادت أن تفتك بجسدها الميت.
الماء يغلي على الوابور. وكان أول شفشق مياه يطلق أعمدة من الأدخنة.
نظرت لها سيدة وقالت: «بردي المية، المية بتغلي على جسد الميت». قالت خضرة: «دا شغلي. انت هتعرفي أكثر مني؟»
وأطلقت سيلاً من المياه الساخنة متوجهة لوجه جدتي في سرعة الرصاصة بكل غضب.
نظت جدتي واقفة، فزعة، منتصبة: «يا أولاد الكلب، عايزين تموتوني؟»
قفزت خضرة من أمامها كالقروء، وهي تلطم الخدود، متجهة إلى أرض الشارع وهي تصرخ وتقول: «الميت صحي... والله صحي...»
ووالدي يردد: «غطي هدمك يا خضرة... الميت صحي... نرلي هدمك يا مرة... الميت صحي... والله صحي... نرلي هدمك يا خضرة... الميت صحي... استري نفسك يا خضرة... الميت صحي... وربنا صحي».

دلقت روجي دم على الأسفلت ومشيت عيني بترصد دمها فتحت باب قلبي اليمين ودخلت لقيت بواقي من دمها

لو كان القمر طفلاً، لانهلْتُ عليه ضرباً
حتى يرحل من كبد السماء، ويسقط الظلام
على قريننا. شارع شارع. ملعب ملعب.
لأفعل ما أشاء. دون رقابة. دون عيون تترصدني
وتقبض على جسدي الصغير في أي وقت كان
حتى لو كنت في أعماق ملعب السوق
وتحت قدمي كرة القدم المكوّنة من الشراب والإسفنج..
فأنا أصغرهم جميعاً. وبرغم صغر سني
نصبوني كابتن الفريق ورئيس العصابة.
فمنه فريق، ومنه عصابة.
والحق أقول: هو فريق يتكون من سعدني كسح،
وعبد الفتاح فونيا، وسعيد السفاح.
وبعد نهاية الماتش يتحول إلى عصابة
أو يعود لأصله، لأن كل شوارع قريننا
تقسّمت إلى عصابات. وكانت عصابتي
هي أشهر عصابة.
وكانت القنابل التي أصنعها من التراب تعمي أعين العدو لساعات في
الضربة الواحدة.
وإذا كانت المعركة مع أطفال من خارج قريننا
فأبدل التراب بالرمل.
والقمر هو كشاف لكل العيون...
وها أنا ألعب أخطر وأهم ماتش في حياتي
بين فريقي، فريق نادر، وفريق زاوية الناعورة...
وها هو شقيقي الأكبر فتحي، صائد الأسماك،
يختبئ في خبث وراء الملعب
ويرسم خطته للأطفال الأشداء
بكيفية الإمساك بجسدي الصغير...

وكل هذا من وراء وجه القمر
الذي يطلق أضوائه داخل الملعب فقط.
فكرت أن أنتقم من القمر مرات ومرات،
وفي كل مرة يحدث لي مصيبة...
وهو يضحك علي في كبد السماء..
وأخر مرة حين وضعت قدماً وراء قدم،
وقبضت كف يدي اليمنى على قطعة من الحجر،
وأغمضت عيناً وفتحت الأخرى
وأنا أصوب الحجر على عين القمر.
ولكن قطعة الحجر ضلت الطريق،
وكأن الحجر له قلب وعقل! واتفق مع القمر ضدي.
فتركت وجه القمر، ولبست في وجه عمدة القرية...
الذي يعتلي ظهر حمارته...
«آه آه يا ابن ال- آه آه هاتوووووووه...»
قالها العمدة وهو يضع كف يده على عينه
لتخفف من شدة الألم...
طارت أقدام الخفراء وراء أقدامي...
وأقدامي كانت أسرع من كل أقدامهم.
أخذت نفساً عميقاً وهربت
وراء الجدران. هربت من عيونهم
ولم أستقر إلا أمام باب الدار، بجوار والدي.
الذي يجلس جوار شيخ القرية، الشيخ عبد الجواد
الذي ينظر إلي بتعجب وحيرة ويوجه كلامه لوالدي.
«ابنك لازم له هداية يا معلم.»
قال والدي: «الهداية مش حاتنفع معاه.»
قال الشيخ: «القرآن يهدي من يشاء...»
قال والدي: «لو الهداية ما جاتش من عند ربنا
مش جاية.» ودون أن يفكر
خطف جسدي وقذف به على ظهر الحمار...
متجهين إلى كتاب الشيخ عبد السلام الكفيف،
الذي وُلد كفيفاً، ولكن، كأنه يرى كل شيء بأذنه.
ونحن في الطريق جاء الذي أخاف منه،
وهو أول شكوى من أم ربيع

براويز

أخطأ من قال إن عمر الإنسان ما هو إلا محطات أو مراحل.
أمّا أنا فأقول، وأجزم، إن عمر الإنسان ما هو إلا براويز؛
برواز يُسلم بروازاً آخر، يُسلم آخر .. حتى آخر برواز في حياة الإنسان.
وها أنا أضع النهاية للخروج من أول برواز في حياتي، والدخول إلى ثاني
برواز:
هو اكتمال الست سنوات من عمري.
أول ست سنوات وأخطر مرحلة هي الوقوف بين براويزين.
جالس مع أصدقاء عمري، وعبد الفتاح «فونيا» يسألني أمام الجميع:
تحب أمك أكثر أم أبوك؟
قلت، دون أن أفكر: أحب الشاي أكثر!
انطلقت هذه الجملة من فمي دون أن أفكر فيها،
لأنني الطفل الوحيد في العالم الذي يعشق الشاي ويدمنه.
وهذا السر لا يعرفه إلا سعيد وعبد الفتاح توأم روحي.
لأن الشاي قائم على «الحلو»، والحلو هو السكر،
والسكر بديل الفاكهة.
والفاكهة في قريتي نوعان: اليوسفي والبرتقال،
وبجوارهما البلح وأعواد القصب،
والملكة التي هي «الكوكاكولا».
هذه الأشياء ليس لها مكان في بيوت قريتنا،
إلا حين يمرض أحد، فيصف له الطبيب العلاج الفوري الذي يخرج من
الموت إلى الحياة:
كوكاكولا، برتقال، يوسفي، فرخة مسلوقة بالشوربة.
هذه الأشياء أعادت نصف قريتي من عمق الموت إلى وجه الحياة.
ولأن دارنا خالية من كل هذه الأشياء مثلها مثل كل البيوت
كان البديل الوحيد هو الشاي.
قال عبد الفتاح: واللي بعد الشاي؟
قلت: الجلايب.
لأن جسدي أكبر مستهلك للجلايب.
فبين اللحظة والأخرى تقوم المشاجرات،
ودائماً أنا المنتصر.
والانتصار له كوارثه:
حين ينهزم الطفل وينكسر تحت جسدي،
أول شيء يفعله هو تمزيق جلبابي على الفور.

ولا يمر أسبوع إلا ويشترى لي والدي جلبابًا.
وكان آخر جلباب هو جلباب أمس،
وقد تم تمزيقه في آخر مشاجرة.
وكاد أن يكون جسدي عاريًا تمامًا،
إلا من بقايا جلبابي.
فأقسم والدي «مليون طلاق» أنه لن يشتري لي جلبابًا آخر.
كل يوم أجلس على باب الدار،
في انتظار فريستي،
وفريستي هي أي طفل يمر وهو مستحم ويرتدي أثوابًا نظيفة.
أهجم عليه كذئب حتى تعلو صرخاته إلى السماء،
ويطير إلى أمه ليشكو لها.
والآن، على باب البيت طابور من النساء،
كل واحدة لها شكواها وفي انتظار عودتي للبيت.
وأمي، عندما تراني، ترفع يديها إلى السماء،
وتترجى الله أن يفرمني تحت سيارة،
أو - على الأقل - يشل قلبي.
ومن حولها أصحاب الشكوى يقولون: بعيد الشر.
فتقول أمي: لا شر ولا حرّ، شله يا رب!
والرب لا يستجيب.
كل ما أفكر فيه الآن هو جلباب بديل.
لكن قبل أن يفكر عقلي، تدخلت قدمي،
وطارت بي إلى فوق حيث صندوق الملابس.
سقطت يدي على لباس شقيقي الأكبر.
دخلت فيه فقيد كل جسدي،
كأني مجنون ذاهب إلى المصحّة.
خرجت منه على الفور، وفتحت شابًا صغيرًا،
ومرّرت ذراعي الأيمن، وفتحت شابًا آخر فمرّرت ذراعي الأيسر،
ثم مرّرت قدمي من الفتحتين المخصصتين للأقدام.
وأخرجت «دكة» اللباس، وعقدتها على عنقي.
الناظر إليّ من بعيد يجدني قد خرجت من رسمة كاريكاتيرية،
من رسومات مصطفى حسين أو ناجي العلي.
الناظر من أول نظرة يسقط على الأرض من الضحك!
جلست على باب الدار، وكل من يمر ينظر إليّ ويضحك.
حتى جاء رجل عملاق، ينظر إلى دارنا في غضب،

وكادت عيناه ينطلق منهما الشرر.
وعندما سقطت عيناه على مظهري،
ضحك كالمجنون، وضرب كفًا بكف.
وظفله بجواره يؤكد له أنني ضربه:
- هو دا يا با اللي ضربني!
نظر إليّ وهو يطلق الضحكات إلى السماء،
وقال لطفله: هنشتكي مين لمين يا ابني؟
ده هو نفسه شكوى! الله يكون في عون أبوه.
تعالى بينا نروح.

الدنيا بحور
وبحور الحياة جحور
بحر ضلمة وبحر نور
والزمن
داير ما يدور
الحياة بحور

مجموعة من البحور هي الحياة
بحر الحب. بحر البغض.
بحر الأمل. بحر الغدر.
وأجمل بحر عندي هو بحر اللعب.
ومن بعده بحر النوم.
ووالدي لا يكره في الدنيا إلا هذان البحران. وهو يدرك تمامًا بأن العائد
من نجارة السواقي
لم يعد يكفي الإنفاق على الدار والسبعة أفراد.
واللي يفور دمه ويدمر أعصابه هي أمي
حين يعطيها مصروف البيت اليومي
وينقص جنيهين. تصدر له الوشّ الخشب
وكأنها مات لها عزيز.
وحين يطلب حقه الشرعي؟
تقول له بنظرات عينيها: «أنا عندي عذر».
على الفور ودون تفكير،
يدخل قبضة يده ويخرج المحفظة وهو مهزوم
ويعطيها ما خصمه من مصروف البيت.
وقبل أن يقول لها بنظرات عينيها: «ياله» تقوم على الفور.
ويعود والدي من أكبر معركة شرعية.
يعود فرحًا وحزينًا. ومنتصرًا ومهزومًا.
يسأله الحاج محمد الدهبان: «مالك يا معلم؟»
يرد والدي:
«يا أخي الواحد لما يطلب مراته يبقى عايز
يكتب لها الدار باسمها. وأول ما يخلص
يبقى عايز يديها بالبلغة!!!!!!»
...

الدنيا بحور

مهنة نجارة السواقي لم تعد تكفي لتنفق على الدار. والدار فم عملاق مفتوح. ووالدي يومًا بعد يوم وعامًا بعد عام يتقدم في السن. والعيال يتكبر. والأسعار كل يوم في الطالع ومهنة السواقي بدأت تنقرض يومًا بعد يوم. فبدأ يبحث عن مهنة أخرى تساعد مع نجارة السواقي، من نوعية نجار باب وشباك مثلاً، أو نجار فؤوس. فاستقر إلى مهنة صائد الأسماك التي احتلت المكانة الثانية بعد نجارة السواقي. هذه المهنة عبارة عن كوكب لا يعطي أسرار له لأحد إلا من يخلص لها ويعشقها. فتعشقه بإخلاص. ومهنة صائد الأسماك ترتبط بالرزق. وهذا الرزق دائماً ما يكون من عند الله. بالضبط. بالضبط. مثل كاميرا المخرج أو مصور فوتوغرافيا؛ أدوات المخرج كاميرته، وأدوات صائد الأسماك شبكته. والشبكة عبارة عن خيوط من الغزل، مربعات الغزل الرفيع في أطرافه قطع من الرصاص الثقيل. الصياد يقف على الشط وهو يحمل الشبكة على ذراعه الأيمن، ويدفع بها إلى الهواء فوق المياه. تطير الشبكة في الهواء وهي تشكل دائرة. تشبه دائرة القمر. بالضبط. بالضبط. تشبه المظلة بعد فتحها. تسقط على وجه المياه، يسحبها الرصاص إلى القاع فوق الأسماك التي تختبئ في الحجارة. ويأتي دور الصياد يكتم الأنفاس ويقبض بيده على السمكة، ويلفها بقطعة من جسد الشبكة أو يأتي بالسمكة من تحت الرصاص، ويصعد بها إلى الشط. وهذا لا يحدث إلا في حالة واحدة: أن تكون الأسماك كثيرة.

وها هو شقيقي الأكبر صائد الأسماك يمسك بي من أرض الملعب - بحر اللعب. توجهنا إلى المقطف. أحمل المقطف الذي في جوفه الشبكة التي تحمل عشرين كيلو من الرصاص، وأسماك صغيرة تحلت بمياه زرقاء. لا يمر أحد من جنبي حتى يقبض بأصابعه على أنفه حتى أمر، أو يمر هو. بسرعة. المياه تسير في مجرى على ظهري لتشكل سربوبًا فوق الأرض. ولا أعرف هل الأرض التي تسير تحت أقدامي، أم أقدامي التي تسير فوق الأرض؟؟؟ وها نحن متجهون إلى ترعة نادر. هي ليست ترعة قرية نادر بالضبط. هي تفصل ما بين قرية نادر وقرية زاوية الناعورة. وبالرغم إن قريتي تدرك أن المعارك ما هي إلا نصيب أو قدر من عند الله فهي تنسب كل شيء لنفسها. رغم أنف الحكومة؛ لأن الحكومة تعمل لها ألف حساب. مستشفى نادر العام وهي على أرض زاوية الناعورة، موقف نادر أيضًا وهو على أرض زاوية الناعورة. وزاوية الناعورة أهل خير وطيبة وبها أعلى مناصب الدولة لكن لا يحبون المشاكل مثل قريتي؛ والمدقق للنظر حين يغوص في قاع الترعة ويقبض على سمكة ما يعرف إذا كانت هذه السمكة من بر نادر أم شط زاوية الناعورة. سمكة نادر تقاتل تحت المياه وفوق المياه، أما سمكة زاوية الناعورة تستسلم فوق المياه وتحت المياه كأنها فرخة بيضاء. وهذا يرجع إلى كثرة الخير والشبع. وهذا الخير له تاريخ كما يحكون أو يقصون. حين احتل الإنجليز مصر تفرقوا إلى جيوش في القرى حتى وصلوا إلى كوبري نادر الذي يفصل بين البلدين. وهناك فريق يرغب في احتلال قريتي نادر، وآخر يرغب في احتلال زاوية الناعورة. فكان هناك رجل حكيم

رسم لهم خطة؛ ذبحوا جمل على كوبرى القرية.
والقرية التي تأخذ منه أكثر تكون جائعة أكثر
ويجب الابتعاد عنها فوراً. وبالفعل ذبحوا الجمل،
وقبل أن ينظفوه خرجت قرיתי بالكامل لتلتهم الجمل فى اقل من نصف ساعة.
وهذا أزعج الإنجليز فاختاروا زاوية الناعورة للاستقرار...
استقروا في قرية زاوية الناعورة وتزوجوا منها.
وانجبوا، وحين تنظر إلى أبنائهم بعيونهم الزرقاء وشعورهم الصفراء المسببة، تدرك على
الفور
وكأنك في لندن أو باريس، ولست في إحدى قرى المنوفية.
وحين تتشاجر معهم يطلقون علينا: «عجر نادر»
أو «إسرائيل الصغرى».

...

ها أنا أسير وراء شقيقي حاملاً شبكة الصيد،
ناظراً إلى القمر الذي يتحداني ويتحدى سرعتي.
أسرع يسرع. أبطئ يبطئ.
فقررت أن أسرع حتى يختفي من عيوني.
طارت أقدامى بجسدي الذي يحمل الشبكة
الشبكة التى تحمل مياه نتنه. مياه سمكية.
وفجأة، اصطدم جسدي بفيل بشري:
جسد ستهم العجوز؛ سقطت على ظهرها،
رافعة قدميها وذراعيها إلى السماء
وتتوسل ربها أن يشل جسدي ويقضي على حياتي بضربة كما قضيت على حياتها يا لهوى...
لم ينتظر شقيقي لإستجابة أدعياتها ، بل شق جموع البشر
وهو يكيل لي الضربات: «أنت اتعميت في قلبك يا ابن...»
وصلنا إلى الترعة - شط زاوية الناعورة -
والمؤذن يعلن عن موعد صلاة العشاء.
أنا وشقيقي والشط غارقون في بحر من الظلام،
وكل حين وحين يجيء ضوء سيارة
ليطيح بكل جبال الظلام، كأنها معركة،
من كر وفر بين الظلام والضوء.
قام شقيقي منتصباً وهو يتخلص من ملابسه
حتى أصبح عارياً كما ولدته أمه،
حمل الشبكة على ذراعه الأيمن ورفعها في الهواء. سقطت في وسط الترعة على وجه المياه

وهي تحدث صوتاً طش.
«على الطلاق بالتلاتة لو نمت لاقتلك»
رمى على القسم، وقفز إلى المياه حتى القاع.
وقبل أن يصل إلى قاع الترعة،
وصلت أنا إلى قاع بحر النوم.
المياه مثلجة، والريح مثلج.
استيقظت على رصاصة غرزت في لحم كتفي.
حينها استيقظت من شدة الألم.
لم أجدها رصاصة بل شوكة قرموط،
أشد من ألم الرصاصة؛ طيرت النوم من عيني، وأخرجتني من بحر النوم.
نظرت إلى الأسفلت على ضوء السيارة.
فوجدته مفروشاً بدماء الأسماك التي قذفها لي شقيقي.
عشرات الأسماك قذفها لي، وراحت
تحت أقدام السيارات. «صاحي يا د...»
«صاحي»
«أنا صاحي»
«حطيت السمكة في المقطف يا د؟» - «حطيت».
وقبل أن أغط في بحر النوم، قلت ألقى نظرة أخيرة.
جاءت هذه النظرة وكأنها الصدمة:
لم أجد ملابس شقيقي التى بها محفظة نقوده وسجائره. ولم أجد
المقطف.
هناك حرامي سرق كل شيء،
حتى لباس شقيقي وحذاءه.
!!!!!!
من سرق ملابس شقيقي وحذاءه؟ والأسماك؟
كيف يذهب إلى الدار عارياً؟
شقيقي سوف يقتلني. سوف يقتلني.
رفعت عيني إلى السماء ودعوت الله
أن يشق الأرض لتبتلعني. ولم يستجب...
الموت أهون عندي من قتل شقيقي.
نظرت على وجه المياه وانتظرت شقيقي،
ولم يصعد. دقيقة تمر. دقيقتان. ثلاث. أربع دقائق.
ولم يظهر شقيقي. هل ابتلعتة الجنية؟

أم سمكة كبرى؟ أم قبض عليه العفريت؟
طارت أقدامي الصغيرة بجسدي الصغير
إلى أرض السوق حيث اللعب.
ولا أعرف حتى الآن إذا كان شقيقي الأكبر
حيًا أم ميتًا؟

شوقتي وانا طائر

فرناس يقول: الشمس لنضة جاز،
بس مكسية قزاز في قزاز،
وإن اللون لوحة،
وإحنا لازم نخرج من البرواز.

المراجيح أنواع: أفرنجي وبلدي.
البلدي هي ريفية بسيطة، يصنعها الأهل للأطفال
حتى يوهموهم بالطيران.
لأن عالم الأطفال يأتون في سن صغيرة،
ولا يطيقون تحكم الكبار ولا عالم الكبار.
فيرغبون في الطيران هروبًا من وجوههم.
من هنا جاءت فكرة أن يطير الجسد
عدة أمتار صعودًا، ويعود إلى الأرض هبوطًا.
وهذا يسبب سعادة للطفل.
والمعروف عن والدي
أنه أمهر نجار سواقي في مركز الشهداء.
واكتسابه هذه الأهمية، وهذا التفرد، وهذه النجومية،
مع حرمانه من التعليم الرسمي وغير الرسمي،
جعله يدرك بأنه عبقرى، ويستطيع أن يصنع
كوكبًا من القادوم والمنشار.
وهو يرى أن العلم والتعليم ما هما إلا خزعبلات،
ويستطيع - بأمر من الله وبرأته - أن يصنع الطائرة
في أيام قليلة.
لأنه - حسب قوله - إن العالم كتلة من الغباء،
اصطفاه الله وحده بالعبقرية،
والعبقرية نعمة من نعم الله...
ولا يمر شهر حتى يخترع شيئًا والشيء يفشل.
وها هو يجلس أمام الدار، وهو يقسم لي بأنني
عينه الواحدة التي يرى بها.
وأنا لا أهتم.
وفجأة،
مر حصان من أمام باب الدار
يجر مرجيحة بستة صناديق حديدية

تشبه الساقية في الدوران.
قال أحد الفلاحين:
سبحان الله، شايقين عقل الإنسان وصل لإيه؟
على الطلاق أعمل زيتها بصباغ رجلي مش بدماعي.
ما تتجننش يا عبد الفتاح!
راحت كل النظرات تتهم والدي بالجنون:
كيف يصنع مرجيحة صناديق؟!
وهي لا تُصمَّم إلا بعقلية مهندس؟
- «واد يا سعدني هات الحمارة.»
اليوم الأسود دايماً ما بيان من أوله.
وهذا اليوم لم تطلع له شمس
على رأسي ورأس الذين أنجبوني.
والدي يقفز من الأرض إلى ظهر الحمارة،
وهو يلتقط جسدي ويدور ذراعه الأيمن به
حتى يلتصق جسدي بجسده تمامًا.
وها نحن متجهون ناحية السوق حيث مقر المرجيحة.
حيث ينزل بجسده أسفل المرجيحة
ويرسم بالقلم الرصاص كل جزء من أجزائها،
وكأنه يقوم بتوليد جاموسة.
وصاحب المرجيحة يتابعه في كل سنتيمتر.
قال صاحبها: «يا حاج مافيش مرجيحة بسبع صناديق،
هي متصمة على ستة.»
قال والدي في تحدٍّ: «أنا أعملها على سبعة.»
.....
في صباح اليوم الثاني توجهنا إلى السوق
بالمسامير، والأخشاب، والحديد، والصاج،
ونصبنا الورشة، وأشعلنا النار.
بين تجمع نساء القرية ورجالها وأطفالها،
نعمل ليل نهار.
نعمل على هذا الجسد الغريب.
وفجأة جاء العمدة ليشق جموع الناس،
وكأنه ضبط والدي في حالة تلبس.
وبدأ يتفحص جسد المرجيحة من قريب ومن بعيد،

وكأنه يعاين جسد الجريمة التي لم تتم بعد.
- «يقولوا إنك بتصنع طيار خشبية يا معلم!»
رد والدي بابتسامة المتهم البريء،
وبدأ يشرح جسد المرجيحة للعمدة قطعة قطعة.
ومضت أيام من العمل الشاق،
ومرت الأسابيع حتى ظهر جسد المرجيحة
بقواديسها السبعة، كما أقسم والدي تمامًا.
دفع بيده الصناديق دفعة قوية، فطار أول صندوق
إلى السماء، وهو يسحب طابورًا من الصناديق،
تطير في الهواء وتهبط، متحدية كل علماء القرية.
وجاء يوم الافتتاح.
استعان والدي بفرقة موسيقى شعبية،
ووجّه الدعوات لكبار رجال القرية، بمن فيهم العمدة.
ولم يحضر أحد.
وأغنى عن حضورهم حضور كل أطفال القرية وأمهاتهم.
الصناديق في السماء، تذكرك بالمكوك الفضائي.
وقبل أن يشير والدي للأطفال قفزوا جميعًا
إلى جوف الصناديق، كل ثلاثة داخل صندوق.
اعترض والدي على كثرة العدد،
فأصر أن ينزل طفل من كل صندوق.
وفجأة... طارت المكوكات الفضائية!
وكل مكوك يحمل طفلين.
ها هي الصناديق تطير للسماء بسرعة الصاروخ،
وتهبط بنفس السرعة، بين صرخ الأطفال
وزغاريد أمهاتهم.
وفجأة! حدثت الكارثة التي لم يتوقعها أحد:
انسلك صندوق من الصناديق وطار،
طار بطفلين إلى جوف السماء،
ووراءه الصندوق الثاني... والثالث!
وباقى الصناديق سقطت على الأرض!!
بين صراخ الأمهات وجروح الأطفال ،
لكن الكارثة الكبرى التي ستدخل والدي السجن
هي الثلاثة صناديق التي اختفت بثلاثة أطفال

العصافير
طول عمرهم طائرين
لأنهم
أرواح ناس طيبين
بين الحياة والموت
عايشين.

طوال عمري أعيش على بيقين بأن العصافير هي أرواح الناس الطيبين،
وتعيش حياتها بين الحياة والموت،
مطاردين بين هذا وذاك، فاختاروا
أطراف الأشجار لتكون مقرًا لهم،
بعيدًا عن عالم الأحياء وعالم الأموات.
وهذه العصفورة الغارقة في بركة من الدماء،
تحاول الطيران مرة بعد مرة نحو جيوش العصافير
التي تصرخ وتصوص في السماء
اعتراضًا على ما حدث لعصفورتهن الصغيرة من جنس البشر.
صراخات العصافير تصل إلى السماء مرة،
ومرة أخرى إلى سماء الأرض،
ولا أحد ينتبه...
لأن البشر لا يفهمون صرخ العصافير ولا لغة الصوصة.

وألقيت على العصفورة كوبًا من المياه حتى يُغسل
دمها عن جسدها، وتطير إلى أهلها.
العصفورة لها جناح مكسور،
قالت ناهد، وهي تضم العصفورة إلى صدرها وتبكي:
يا عصافير، تعالوا خُذوا عصفورتكم، هكذا قالت.
ولكن هيهات، العصافير لا تفهم لغتنا.
أنا خائف من الأطفال والقطط والكلاب وأقدام البهايم،
كل هذا يطمع في جسد العصفورة،
والكل ينظر لها نظرات الذئب إلى الغنم.
نظرتُ إلى والدتي العصفورة وهي تنظر إليّ،
وفي سرعة لم تعهدها ناهد، خطفت العصفورة
من على صدرها ووضعتها في وسط الشارع.

هروب الروح

الطيران إلى الموت

وكلما أطيّر للموت
ألقاني طائر للحياه
شوقي هو توأم شقيقي الأكبر فتحي، واشتهر بالبخيل.
ترك لنا تصليح السواقى وهاجر إلى القاهرة،
حيث تم تعيينه في مؤسسة حكومية.
وكل عدة شهور يتردد علينا،
وهو يرتدي أجمل ما عنده من ملابس.
ومنذ كان طفلاً، وهو عاشق للدراجات البخارية،
يسمونها في قريتي «الموتوسيكلات». وهناك
اشترى موتوسيكلًا عملاقًا، ولم يصدق أحد
أن شقيقي الأكبر اشترى موتوسيكلًا في القاهرة،
حتى حضر به إلى القرية التي تبعد عن القاهرة
مائتي كيلومتر، وهي مسافة لا تصلح معها إلا السيارات.
والحق أقول: حلم حياتي أن أركب الموتوسيكل،
ويطير بي، وناهد تصرخ ورائي وتقول: «هذي شوية...
هذي السرعة شوية!»
والموتوسيكل يطير على الأسفلت، ثم إلى السماء،
ونختفي عن عيون البشر.
وأستيقظ من الحلم على يد والدي وهو يلكنني ويقول:
«إنت بتكلم نفسك؟»
ابتسمت في خبث، وعيني على الموتوسيكل...
أتذكر عبد الفتاح فونيا وهو يشرح لي
كيف تسوق الموتوسيكل:
تقبض على الدبرياج، ثم تدوس بنزين، وتنقل،
ثم تقبض ثانية على الدبرياج، وتدوس بنزين، وتنقل،
وعند أي حادثة تدوس على الفرامل.
اليوم هو يوم جمعة، وبعد ساعة من الآن
سيتوجه شقيقي البخيل ووالدي إلى الصلاة،
ويتركون لي فريستي.
وفريستي هي الموتوسيكل.
وها أنا أدوس الدبرياج والبنزين والفرامل،
ولكن الموتوسيكل انطلق كالطلقة!
أترجاه أن يقف، ولا يستجيب لرجائي،

وكاد أن يطير من على وجه الأرض.
وعند أول الجسر في اتجاه قريتي،
سأته يميناً وأصبح على الأسفلت دون حادثة واحدة.
الموتوسيكل طائر بي، قلت: «عليّ وعلى أعدائي!»
ولكن، بحق لا إله إلا الله، إن القادم باتجاهي
فوق جبل من البرسيم الأخضر،
بجوار القناية المعبأة بالمياه،
ما كان يوماً عدوًّا لأحد،
هو الحاج أحمد، أطيب رجل في القرية.
ولكن عند القدر يعمى البصر...
طار الموتوسيكل، ودخل مثل صاروخ
تحت أقدام حمارة الحاج أحمد،
حتى ارتفعنا جميعاً عدة أمتار،
وطرنا في جوف قناية المياه:
أنا أولاً، ثم الموتوسيكل فوق،
والحمارة فوق وفوق الموتوسيكل،
وستر الله كان أكبر وأعظم،
والحاج أحمد فوقنا جميعاً!
راح ينزع حذاءه من قدمه وينهال به على رأسي،
وهو يقول: «هو إنت ابن حرام؟ ابن حرام!»
وكل الأيادي تمنعه من ضربتي، ولكن لا تستطيع.
وبدأت الأيادي تسحب جسدي الصغير
من تحت الحمارة والموتوسيكل والحاج أحمد،
ثم سحبوا الموتوسيكل، فأمسكت به في يدي،
متوجّهاً به إلى الأسفلت،
غير مستجيب لنصائح الكبار
الذين يأمروني أن أعود بالموتوسيكل إلى الدار.
ها أنا على الأسفلت، يدور الموتوسيكل بي،
وأتمنى أن تكون ناهد ورأي ليكتمل الحلم.
ناهد قالت: «أمي تضربني!»
إرادة الله تنجيني من كل سيارة تمر،
والموتوسيكل طائر،
ولا مانع من شتائم هنا وهناك

تأتيني بها الرياح.
والآن: الله أكبر! حوش يا رب... والنبي حوش يا رب... حووووووش!
سيارة قادمة بسرعة الصاروخ باتجاهي،
نظرت إلى السماء في خشوع ومذلة،
وأدعو ربي أن يوقف الموتوسيكل،
ولم يستجب لرجائي.
رفعت ذراعي الصغير إلى السائق، وقلت:
«اقف! والنبي، ربنا يخليك!»
ولا يستجيب.
بضع أمتار، ويدخل الموتوسيكل بي تحت عجلات السيارة،
وسيتساوى جسدي والماكينة بالأسفلت.
على الجانب الأيمن يوجد البحر،
وعلى الأيسر التربة،
وأنا عاشق لأفلام الأكشن
التي أستمتع بها حين يحكيها لي أطفال القرية
الذين يأتون من المدينة،
حين يحدثونني عن الموتوسيكل
الذي يطير فوق المياه وفوق العمارات.
تدخلت يدي وكانت أسرع من عقلي،
أدارت المقود ناحية البحر،
وانتظرت أن يطير بي الموتوسيكل على وجه المياه...
ولكن الموتوسيكل مقطوع النفس،
ولا يطير مثل الموتوسيكل الأمريكي!
بدلاً من أن يطير بي على وجه المياه، طار بي
إلى قاع البحر،
وأنا الآن في القاع،
بين وبين وجه المياه عشرات الأمتار
من المياه الثقيلة المثلجة
ولا أعرف هل أنا سوف أطفوا على وجه المياه حياً أم ميتاً.

لَمّت رُوحِي وحطّيتها في ظرف
وبعتها لي عن طريق البريد
ببس رُوحِي ما وصلتنيش.
وأنا عايز أعيش
زِي زي كل الناس. رُوحِي راحت فين؟؟
شفتها مرة على الكورنيش
ساحبة روح سكرانة.
بعد شهرين لقيتها جاية بتطوح
وغلطانة في اسمي.
حلفت عليها ما تدخل جسمي.
من يومها الملائكة بتخرجني!
كل ما ييجوا يقبضوا على رُوحِي
ما يلاقوهاش.

~~~~~ه

لو عملوا مسابقة أجبن روح طفل في العالم،  
روحي تحصل على الجائزة الولي باكتساح؛  
لأنها حقيقية. حقيقية أجبن روح في العالم.  
وكثيرًا ما تغدر بجسمي الصغير.  
وجسمي كثير المشاجرات والمغامرات.  
وحين تنهال عليه الأقدام والأيدي ويسقط على الأرض، تهرب منه في  
فزع وتقف بعيدًا  
حتى يرحل ما حوله من الخطر.  
ثم تدخل في هدوء ويستيقظ من الموت.  
ويسيران معًا. وهناك شيئان يكرهان جسمي  
ويعشقان رُوحِي: الوعي والنطق.  
وكأننا جسدان: جسدي والروح،  
والوعي والنطق جسد آخر.  
برغم أن كل واحد فيهم ليس له علاقة بالآخر.  
وحين يخرجوا من جسدي يتحوّل إلى  
قطعة من اللحم لا نفس فيها ولا حياة.  
وجسدي لا يطيق رُوحِي لشفافيتها ورقّيها،

## أجبن روح في العالم





تحتة نار.  
هذه المرة انسحبت روجي في هددووووووووء  
من جسدي. وقبل أن يخرج الوعي بقليل،  
وراء الروح أحسست بأصابع كبير الجزارين وهي تغرز في عنقي، ويقول. لا  
يروح امك مش حاتموت أنا إللى حاموتك بإيدى:

## ما بين العين والحاجب

إِدِّينِي رُوحِي  
وَحْدِي رُوحَكَ  
كفاية  
أعيش في أفراجك وجروحك  
أحزائك وطموحك  
نسيت همومي وجروحي  
حْدِي رُوحَكَ  
وإِدِّينِي رُوحِي  
إِدِّينِي رُوحِي

نعم، هذا ما حدث بالضبط. تحوّل جسد ناهد إلى روح، وهذه الروح تسكن كل خلية في جسدي الآن. أصعب شيء على الطفل المتمرد أن يعيش بروح أنثى. وأيّ أنثى؟! تلك التي جاءت من رحم السماء. نعم، الآن أعيش بروح ناهد، وناهد تعيش بروحي. وها أنا أقف على أبواب العاشرة من عمري، أقف أمام سرّ عملاق لا يعلم به أحد، وهو الإنسان الذي ينسى من حين لآخر، أو يتناسى عالم الإنسانية فيعود إلى جذوره، إلى طبيعته...

طبيعة الغابات، والأسود، والذئاب، والقرود.

وها هو الإنسان يهجم على أخيه الإنسان،

كهجوم الذئب على الفريسة،

لذا يطلقون عليه: الذئب البشري.

وها أنا في الثالثة عصراً قررت أن يكون لي سلاح يحميني ويحمي حياتي من كل هؤلاء. فكانت المطواة. وهي ستكون سلاحى حتى الممات. هذه المطواة مصنوعة من الحديد الصلب، وكفيلة أن تشق الجدار المسلح إلى نصفين. اشتهرت المطواة في قرיתי والقرى المجاورة، والكل يعمل لها ألف حساب وحساب. عشر سنوات هي حصيلة عمري، وتفر أمام عيني الآن ثانية ثانية، دقيقة دقيقة، ساعة بعد ساعة، شهر بعد شهر، عام بعد عام - كأنه شريط سينمائي. عشر سنوات يفرون دون فائدة، وبعد كل هذا الضياع تأتي خالة ناهد وتقسم لوالدتي بخبث بأنها ستخطب ناهد ابنة شقيقته لولدها الأكبر. وتقول بصوت عالٍ وهي تنظر لي

كأنها تخاطبني: «ناهد لابني وابني لاناهد». جن جنوني، فخطف جسدي الصغير دراجته وطار بها متجهاً إلى روميو ابنها الأكبر لأشقه بالمطواة نصفين. ها هو ولدها تحت جسدي يقاوم الموت، وبالصراخ والصوت كالبنات. وها هو يقسم لي أمام أهل الشارع أن ناهد ابنة خالته وفي مقام شقيقته فقط. وبعدين أنا فين والجواز فين؟ هكذا قال. أخذت نفساً عميقاً وارتاح قلبي وطار الغضب من عيوني.

«يا لهوي... أين عبد الفتاح السلاموني قتل ابني يا ناس!»

هذا الصوت الذي شقّ آذانكم الآن هو صوت أمّه.

شقّت الزحام واحتضنت ولدها وضمتّه إلى صدرها، وهي تُقسم بأنّها ستذهب لوالدي الآن وتشكو له، وهي تُطلق الصرخات وتلطمُ الخدود، وتُهدّدني بشتى أنواع الوعيد.

أخذت ولدها في يدها، متّجهة به ناحية دارنا، ولا أعرف لماذا غيّرت اتجاهها إلى بيت شقيقها!!!

وقصّبت ما حدث لولدها لوالد ناهد، الذي يسقط في بحر من الذهول.

الثلاثة أطفال! خطوبة إيه وجواز إيه!!؟

وإيه المطواة؟

وكيف لطفل أن يعشق كلّ هذا العشق لطفلة؟

«لا راحت ولا جت!» - حسب قوله.

«الواد سعدني هايشوّه سُمعة البنت يا أم ناهد»،

قال والد ناهد، وهو يقوم منتصباً ويسحب عصايته الخيزران المزخرفة بزخارف فرعونية، متّجهاً إلى والدي، وها هو وجهاً لوجه.

أنظرُ إليه في لامبالاة، وكأنه ليس موجوداً.

للأسف، والد ناهد يحبّني أكثر من أبنائه الثلاثة، ودائماً ما يُوكّد لأهل قرיתי بأنّي بمائة رجل.

ولكن ما حدث وصله أضعافاً مضاعفة، وسوف يجعله يُغيّر رأيه بي تماماً.

راحت تبتسم شفتاه، وتتساقط من على أطرافها الكلمات، وكلّ أجزاء جسده ترتعش.

«اللي عايز يخطب واحدة يجي لها من الباب، مش من الشباك يا ابن الأصول!»

قلتُ له: «جاي لك بعد صلاة العشاء من الباب.»

وأنا في انتظارك، قالها والد ناهد وهو يُخفي بحور الغضب وراء شاشات عينيه،

وأنا أردّ في تحدٍ وبرود.  
لكن انظروا الآن إلى عينيّه وهي تنظر إليّ في دهشة،  
وتتساءل:  
«من أين جاء كل هذا العشق وهذه الجرأة  
لطفلٍ ابنِ العشر سنوات؟!»  
عمومًا، ساعاتٌ من الآن ونُهي كل شيء.  
ها أنا أرتدي أجمل ما عندي من جلبابٍ وطاقيةٍ وحذاءٍ جديد،  
وها هو أمام المسجد يُعلن عن صلاة العشاء.  
وها هو جسدي يتجه ناحية غرفة النوم  
ليُخفي شيئًا ما تحت المخدة... أكيد، أكيد أُخفي المطواة.  
نعم، كيف يتجه إلى خطيبته وأهل خطيبته بالمطواة؟!  
الناظر بدقةٍ إليّ هذا المشهد الآن  
يكتشف أنني أقبل على الانتحار،  
ولو أستطيع الآن أن أُمْنع جسدي من هذا المشوار لمنعته فوراً...  
يا الله!  
أقف على باب دار ناهد الآن،  
وقبل أن أطرق الباب طرقاتي الشهيرة،  
جاء صوت شقيقها من الداخل:  
«ادخل يا سعدني، إحنا في انتظارك.»  
دفعْتُ الباب بكل ثقةٍ وكأنه باب دارنا،  
الآن أمام أعينكم الجميع ملتقون حول طبلية العشاء،  
الذي يتكوّن من رقاقٍ وفطيرٍ وعسلٍ أسود،  
وجبنَةٍ قديمةٍ وبيضٍ بالزبدة ومربى.  
وأنا أتساءل: لماذا كل هذا البذخ؟  
ألا يكفي الرقاق والعسل الأسود والجبنة؟!  
ولكن للأسف،  
هذا هو مستوى معيشة الموظفين في قريتي.  
وهل أنا أستطيع أن أوفر لناهد كل هذه الأشياء؟!  
تعالى كُل بدل ما تبخل في الأكل كده،  
يقول والد ناهد، وأنا لم أرد ولم أعطه أيَّ اهتمام،  
وكأنه لم يقل شيئًا.  
ناهد تنظر إليّ في غضب،  
كاد هذا الغضب أن يحرق جسدي،

تقول عيناها: «إيه اللي جابك؟»  
وترد عيني: «لأخطبك بشكل رسمي قبل أن تطيري من يدي.»  
لكن ناهد لا تفهم لغة العيون.  
«أبوك نفسه ما يقدرش يعيش ناهد في المستوى ده!»  
قال والد ناهد، وأنا أرد:  
«طيب ليه الغلط؟!»  
وقبل أن أنتهي من هذه الجملة...  
تقافزت الأجساد في اتجاه جسدي،  
وبدأت تُقيّده بحبلٍ أكبر من حبل الجاموسة.  
أبناءؤه الثلاثة، كل واحدٍ يقبض على ذراع،  
وكبيرهم تخصص في رفع أقدامي،  
ووالد ناهد يقوم بدوره...  
ها هو ينزل بخيزرانتة على أقدامي لتشقّ فيها:  
آه...  
آآآه...  
بعد كل ضربة يقول:  
«عايز تدمر لي سُمعة البنت وهي لسه طفلة؟!»  
آآآآآه...  
آه...  
طيب... طيب...  
هذه الآهات تنطلق من فمي، وهو يقول:  
«بأحبك يا ناهد... آه... يا ناهد بأحبك!»  
دخلت أم ناهد وخطفت الخيزرانة،  
وبدأت تضربني هي الأخرى.  
يا الله! أم ناهد!  
لم أتوقع أبدًا أن تضربني أم ناهد!  
حقًا، احترس من المرأة حتى لو كانت ملاكًا.  
أقسم بالله، من أيام فقط كانت أم ناهد تترجّاني  
أن أشتري لها أرزًا وملحًا وسكرًا... تترجّاني!  
قلت لها: «بس بشرط... تجوّزيني ناهد.»  
انفجرت ضاحكة وقالت: «خلاص.»  
قلت: «أحلفي!»  
قالت: «والله لو جبت الملح لأجوزك ناهد.»

طارت قدماي في سعادة ناحية البقال  
وفي كل مرة يُقسِم لي بأنها سوف تُزوِّجني ناهد. وها هي تضربني بانتقام

- آآآآآآآ -

العرق يتصبب منهم جميعًا.  
وها هم يحملون جسدي على أذرعتهم، وهو بين اليقظة والإغماء، ويلقون به في وسط الشارع.  
وناهد طوال الضرب تُطلق الصرخات والآهات حتى الإغماء.  
ها هو جسدي يُلمِم نفسه من الشارع وسط اللحوم البشرية.  
ها هو يخرج من بحر الموت ليدخل بحر الحياة.  
انتفضتُ منتصباً.

وجهتُ نظراتي إليهم جميعًا، وأخص بنظراتي والد ناهد، وأقول:  
أقسم بالله لأذبح أولادك جميعًا.. والأيام جاية..  
على باب دار ناهد انقسم الجموع إلى نصفين:  
نصف يرى أنني ناقص تربية، والنصف الآخر يرى أنني لن أترك ثأري أبدًا  
مهما طال الزمن، وسوف يندمون على ما فعلوه معي.  
في اليوم التالي من الخامسة صباحًا حتى التاسعة جلستُ على المحطة  
منتظرًا، على صفيح ساخن، أبناء الثلاثة.. ومطوتي في يدي..  
وها هم قادمون.. الثلاثة.

لا لا لا.. ليسوا الفلاحين، بل هم الثلاثة الذين يرتدون قمصانًا وبنطلونات  
ويحملون حقائب مدرسية.  
طار جسدي بالمطواة على كبيرهم.  
نطيت نطة الذئب على فريسته.  
ارتفعت يدي بالمطواة إلى فوق، ونزلت بها في صدره حتى تنفذ من  
الناحية الثانية...

أي تدخل من صدره وتخرج من ظهره..  
ولم أعرف: يد من هذه التي التقطتها من الهواء؟  
هي يد خشنة.. يبدو أنها يد فلاح.  
الحق أقول: لم تكن يدًا واحدة، بل هي عشرات الأيدي حملت جسدي  
من فوق جسده.. جسده الذي فرّ من جسدي ليلحق بأشقائه الاثنين  
وهم يصرخون:

سعدني قتل أخونا! سعدني قتل أخونا!  
ها أنا طائر وراءهم ومطواتي مرفوعة إلى السماء، حتى وصلوا إلى باب

دارهم وأغلقوه على أنفسهم، بين الصراخ العالي الذي يشبه صراخ  
النساء..

دفعت الباب في جنون، فوقع باب الدار على الأرض مثل قتيل.  
فروا جميعًا إلى غرفة النوم وأغلقوها على أنفسهم.

وأم ناهد تنظر للجموع البشرية وتصرخ:  
سعدني ها يقتل ولادي يا ناس!  
الحقونا، ها يقتل ولادي!  
خرجتُ إلى الشارع وأنا شاهر مطواتي، لأجد القرية عن بكرة أبيها تتفرج.  
رُحت أخطب فيهم وأنذرهم:  
يا بلد ما فيهاش راجل!  
أنا لناهد وناهد لي!

عيونهم تنظر إليّ في خوف مختلط برعب.  
قالت امرأة كلماتٍ وجهت نصفها للقرية والنصف لي:  
مش قلت لكم سعدني مش هايسيب تاره أبدًا؟  
في صباح اليوم الثاني، أجلس أنا ووالدي ووالدي وأشقائي على الفطار،  
وعلى الطبلية طبق فول وطعمية ومخلل.  
دخل علينا والد ناهد كعادته دون أن يطرق الباب.  
ها هو أمامكم يحمل عصاه المزخرفة، وها أنا أترجى الله أن تنشق الأرض  
وتبتلعني حرجا وكسوفًا من ما حدث أمس.  
قال والدي: تعالَ افطر.

ورد والد ناهد: ألف هنا وشفا.  
قال في هدوء، موجهًا كلامه لوالدي الذي لا يعلم عن الموضوع شيئًا:  
عبدالفتاح... أنا بأخطب إبنك سعدني لإبنتي ناهد.  
راح الجميع ينظر له في ذهول.  
ثم استطرد قائلاً:

سعدني ابني وناهد بنتي وانا باخطبها له.  
قال والدي: أنت بتقول إيه يا حاج؟  
أرسل له أبو ناهد نظرة خبيثة مع غمزة عين أخبث، ووالدي لا يرى أمامه  
عدة أمتار.

سعدني، أنا في انتظارك الليلة.  
فقلتُ متحديًا: وأنا جايلك في نفس المعاد يا حاج!  
يا دي السنين السوداء.. أنا أقول يا حاج دون ألقاب!  
نظر إليّ والدي وكاد أن يفتك بي وهو يقول: وجع في باطنك..

لكن قبل أن تخرج الكلمة سحبها، لأن لغة الحوار بيني وبين الحاج أكبر من أي غضب.

ها أنا أرتدي طاقتي وجليابي والحذاء الجديد، ومطواتي في جيب مفتوحة على آخرها.

في انتظار أي غدر، سأمزقهم جميعًا بما فيهم حبيبتي.

هذا جنونٌ مني.. حد يرجعني يا ناس!

جسدي أمامكم قادم على الانتحار..

ارجع أيها المجنون المتهور!

سوف يبترون قدمك هذه المرة، وسيكون لهم مليون حق..

دي سُمعة طفلة، والطفلة شرفهم.. ارجع أرجوك..

هو الآن يقف أمام دكان البقال..

ماذا يشتري هذا المتهور؟

يا الله.. المتهور اشترى ثلاث سجائر فُرط...

والآن يشعل سيجارة في الشارع أمام أعين الناس وهو يطرق على باب دار ناهد. وهو لا يدخن ولكن يعتقد ان السجارة تكمل رحولته.

والحق يُقال: السيجارة في يده أعطته قوة ما بعدها قوة، وهو يثبت لأهل قريته أنه أصبح رجلًا بهذه السيجارة ويستطيع أن ينفق على ناهد...

يتمنى من الله الآن أن يرى ناهد وهي تراه قابضًا على السيجارة، ويخرج الدخان من فمه وأنفه مثل الكبار.

يفتح الباب شقيق ناهد الأكبر.

نظرت له بتجاهل واحتقار وقلت: أبوك فين؟

قال: أبوي في انتظارك جوه.

هواء البيت يحمل شيئًا من الترقب والخوف والانتقام..

وها هي ناهد تظهر وكأنها كبرت عشرين عامًا.

في عيونها بحران من الأحزان، وليس في وجهها نقطة دم.

قال والد ناهد وهو ينفجر ضاحكًا:

بتدخن من دلوقت؟ آمال لما تتجوز ناهد هاتوكلها منين؟

قلت متحديًا:

أنا لو اتجوزت القرية كلها أوكلها الشهد.

لم يهتم بكلامي، نظر إليّ وكأنني لم أقل شيئًا، وقال:

شوف يا ابني.. ذهب الفرح هدية مني لك وإل ناهد، والمطبخ كمان، وإنّ عليك أوضة النوم وأوضة الجلوس.

يا دي السنين السوداء!

منين أجيب أوضة نوم و أوضة جلوس ؟

إحنا متفقين نتجوز على الحصيرة في أوضة جنب أودة الحمامة!

وطبعا أنا هتغاضى عن إنها تبقى دكتورة أو مهندسة أو على الأقل مدرسة.. وإنّ نجار.

هنا شعرت أن ناهد تطير مني.

ناهد ضاعت.. والرعدة تملك جسدي.

الشقة؟! أجيب شقة منين؟!

قلت بدهشة: شقة إيه؟

أنا هاتجوزها في أوضة في بيتنا.

قال في هدوء:

القرية قدامك.. فيها واحد اتجوز موظفة في أوضة؟

انفجرت باكيا كآني لم أبلّك أبدًا.

ناهد ضاعت.. ناهد تضيع.. آاااه ناهد ضاعت!

خرجت «الآه» من فمي تضرب في سقف البيت وتخرج إلى القرية جمعاء..

اقترب مني والد ناهد وضممني وضممني إلى صدره وهو يقول:

أنا عارف إنكم بتحبوا بعض قد إيه.. بس الجواز مش لعب عيال يا ابني.

وجفف دموعي.

اوعدني إن ناهد تبقى أختك للأبد. وأنا عارف انك راجل وقد وعدك.

قلت: صعب.. صعب..

قال: علشان خاطري.

قلت: ناهد.. ناهد.. إنّي أختي.

دون أن أشعر.. طارت قدمي بجسدي إلى الشارع هاربًا من هذا القتل المنظم..

صعدتُ إلى السطح.. نظرتُ للقمر..

سقط وجهي على الأرض، وعرضت أعواد الحطب، وأقول:

ضاعت ناهد.. ناهد ضاعت!

لم أشعر إلا بيد والدي تحملني..

قال وهو يبكي:

احنا غلابة يا ابني.. والعين ما تعلاش على الحاجب.

قلت غاضبًا:

ملعون أبو العين وملعون أبو الحاجب!

قفزت من السطح إلى الشارع منتحرا..

وها أنا في الهواء.. في طريقي إلى أرض الموت

كل الحاجات عندنا  
بتشوف الموت  
لما يقف قدامنا أو يفوت،  
يرعب الباشا وابن الباشا  
والهلفوت.

يولد الصمت من الصراخ،  
ويولد الصراخ من الصمت.  
الموت في بلادنا موتين:  
الموت،  
والموت الذى وراء الموت.  
في قريتي، الكلب والديك والذئب والحمار وكبار السن  
هم فقط الذين يرون الموت،  
حين يكون قادمًا من رحم السماء  
أو قادمًا من رحم الأرض.  
يطلقون الأصوات المزعجة  
لتنذر أهل قريتي بوجود هذا الضيف العملاق.  
تقول جدتي:  
«الموت معدّي من الشارع،  
يا ترى ها ياخذ روح مين المرة دي؟!»  
الموت يأتي متخفيًا للبشر، إلا أهل قريتي.  
برغم أنها محاطة بعشرات من القرى:  
قرية زاوية الناعورة، قرية جزيرة الحجر،  
قرية دنشواي، قرية كفر حجازي،  
قرية الحناطرة، قرية أبو عدس.  
وقريتي تختلف عن كل هذه القرى،  
حتى في اسمها: «نادر».  
المدهش أن كل قرى مصر  
يعيش فيها المسيحي والمسلم سواء،  
على قلب واحد وعقلية واحدة،  
إلا قريتي، لم تكن فيها أسرة مسيحية على الإطلاق،  
ولا تسمح بوجود مسيحي.

## أبواب النار



وها أنا ابنٌ من أبنائها،  
لا أعرف من أين جاء كل هذا العشق عشقى للمسيحية والمسيحيين.  
وحين كنت في الثالثة والنصف من عمري،  
تهت عن قريتي.  
وخرجت القرية جمعاء للبحث عني،  
ولم تجدني في أي مكان.  
ولن تجدني.  
قال أحد الأشخاص إنه رآني - حسب قوله -  
أغرق في التربة،  
وقال الآخر: «أكد أكيد لقموه لتروس ماكينة الطحين  
اللي لا تشتغل كل نهاية عام إلا بلحم طفل ودمه».  
وها أنا أمامكم في كنيسة زاوية الناعورة،  
أصلي مع المصلين في آخر صف.  
وها هي عيوني ترتشف الرسومات  
المرسومة بدقة على الجدران،  
وهي مجموعة من الملائكة  
ينظرون لي ويبتسمون،  
وأنا أرد البسمات بالبسمات،  
حتى امتدت يد الموت،  
وقبضت على جسدي.  
كانت يد شقيقي الأكبر.  
تقدمت أصابعه في صمّ لتسحب جسدي الصغير  
من هذا المشهد العظيم.  
وها هو صراخي يتطاير،  
ليضرب في سقف الكنيسة وينتشر في الهواء  
المعبأ بترانيم وراء ترانيم،  
ولا يستجيب أحد لصراخي،  
ولا ينقذني من يد شقيقي صائد الأسماك  
الذي يكيل لي الضربات.  
وبرغم قسوة قريتي التي تعيش بقلب حجر،  
فهي تسكن كل خلية في جسدي،  
فأنا الذي أنتمي إلى أسرة تتكون من سبعة أفراد:  
جدتي أم أمي، ووالدي، ووالدتي،

وشقيقي الأكبر فتحي، ثم توأمه شوقي، ثم عبد العزيز،  
ثم سعاد، ثم العبد لله.  
وطوال عمري لم أر الفقر أبدًا  
يتجول في هذه الدار، لأنه لم يجد ما يمتعه.  
فستر الله يسكن دارنا دائمًا، وكأنه جزء من هذا البيت.  
والدار بسيطة، تتكون من طابقين:  
طابق أول من أربع غرف، وطابق ثانٍ.  
كل طابق له سطح،  
وهذا السطح يتكون من عدة عروق خشبية،  
وهذه العروق الآن ينهش فيها السوس ويجيء الدود،  
وعلينا الآن أن نخلي سطح الطابق الثاني،  
ونقوم بتبديل العروق بعروق جديدة.  
فوق العروق طبقة من شكاثر البلاستيك،  
ثم طبقة من الطوب الني «الطوب اللبني»،  
وهو الطوب الطيني،  
ثم طبقة من القش، وعليها طبقة من الطين المختلط بالتبن،  
ثم طبقة من حزم الحطب، وهذا هو السقف كما ينبغي.  
فسمك السطح بعد كل هذه الطبقات  
لا يقل عن متر ولا يزيد.  
قام والدي فجأة وراح يعطينا الأوامر المفاجئة.  
تقف أمي على أطراف الطابق الثاني،  
وبعدها والدي، لنشكل سلسلة بشرية  
تبدأ من فوق إلى أرض الشارع.  
تنتزع أمي حزمة الحطب وتعطيها لوالدي،  
حتى تصل إليّ لألقي بها في وسط الشارع.  
أمي تنتزع حزمة الحطب من جوف قوالب الطوب،  
وكانها تسحب خيرًا من عجين الخبز.  
نعم، بقوة مفرطة، قوة ما بعدها قوة،  
وهذا ليس جديدًا عليها،  
فهي أول من أطلقوا عليها اسم «الوحش» أو «وحش نادر».  
لأن في يوم من أيامنا السوداء، جفت المياه من الترع،  
فتوجهت النساء بزلع المياه إلى البحر الكبير،  
وكان عمري عامين ونصف عام، وأنا على صدر أمي،

وفوق رأسها زلعة المياه حتى وصلنا للبحر.  
ها هي تقاوم الرياح الشديدة والأمواج العالية.  
وضعتني أمي فوق رأس الحجارة  
التي تمتد إلى نصف البحر،  
ونزلت إلى الشط.  
وفجأة ظهر طفلٌ يكبرني بعدة سنوات،  
وراح يكيل لي الضربات دون أن أفعل له شيئاً، أقسم.  
فكان دفاعي عبارة عن صرخاتٍ عالية،  
ليسمع من يسمع ويأتي لإنقاذي.  
استمعت أمي لصراخي، تركت الزلعة على شط المياه،  
وقفزت عدة قفزات،  
كل قفزة تقترب من المتر،  
قبضت على الطفل بذراعها الأيمن،  
وألقته في منتصف المياه.  
صرخت أمه التي كانت تشاهد ابنها وتضحك لقوته المفرطة،  
ولا تمنعه عني،  
ها هي تصرخ على ولدها بأعلى صوت.  
الصراخ أزعج أمي، حملتها بالذراع الثاني،  
وكأنها تحمل قطعة صغيرة،  
وألقت بها لتلحق بطفلها.  
هرول الرجال والشباب وقفزوا في مياه البحر بملابسهم،  
لينقذوا الطفل وأم الطفل.  
نزلت أمي للشط ولا تبالي بما يحدث حولها،  
رفعت زلعة المياه ووضعتها على رأسها،  
ثم خطفتني من على الأرض بقبضة يدها،  
ولفت ذراعها بي، ولم أستقر إلا على صدرها.  
من هذا اليوم يطلقون عليها «الوحش».  
وها هي الآن تدخل على حزمة الحطب لتنتزعها،  
وتعطيها لوالدي،  
تتلقفها يد جدتي، لتستلمها يد شقيقي الأكبر،  
ويد شقيقي تتسلمها من يد شقيقي،  
حتى تصل إليّ، فألقي بها في وسط الشارع.  
التفت والدي ليأخذ حزمة الحطب من أمي،

ولم يجد أمي، ولا حزمة الحطب، ولا الطابق!  
لأن الطابق بكل بساطة لم يتحمل جسد أمي،  
فسقط بها على الطابق الذي هو قبل الأرض،  
والطابقان سقطا بأمي على الأرض.  
وأمي الآن تحت الأنقاض، بين الموت والموت.  
طابقان، أي متران من الخشب والطين والقوالب،  
يسقطون فوق أمي من ارتفاع خمسة أمتار.  
«يالهو، يالهو، يا سندي، رُحتي فين يا رتيبة!»  
هذا تعداد والدي على أمي التي ماتت تحت الأنقاض.  
وفجأة، وكأنهم يعلمون بالحدث قبل وقوعه،  
حضرت قريتي عن بكرة أبيها، لحوم بشرية بجوار لحوم بشرية،  
وجميعهم يبحثون عن جسد أمي، وكأنها أمهم.  
«اللّٰه يرحمها، كانت طيبة، ما شُفتش يوم راحة»،  
تقولها سيدة عجوز.  
وترد أخرى: «حدّ مات من أهل الدار يا أولاد؟»  
ها هو الوقت يمر بسرعة البرق،  
تمر خمسة وعشرون دقيقة،  
وداخلين على الدقيقة ستة وعشرين،  
ولم يظهر جسد أمي.  
ماتت رتيبة، مات الوحش،  
مات الحنان والقوة والإخلاص،  
ماتت أمي.  
والحق يُقال: هناك موت أشد من موت،  
نعم، الموت الذي وراء الموت هو الأشد.  
لأن هناك عادة في قريتي، مقدسة، وهي:  
حين يعمل أحد في البيت أو الغيط،  
يتخلص من كل ملابسه الداخلية،  
رجل كان أو سيدة.  
وها أنا أتذكر هذا فجأة،  
فراحت عيوني تبحث بجنون عن ملابس أمي.  
«استر يا رب!»  
مكومة بجوار زلعة المياه، وكأنها قتيل،  
وبجوارها ملابس والدي وجدتي.

«استر يا رب، سترك يا رب!»  
الموت سوف يكون موتين الآن،  
نعم، ربنا يستر.  
«يا ناس، رتيبة ماتت خلاص، بالراحة علشان الفاس وجسمها!»  
قال أحد الرجال.  
ها هي نصف ساعة تمر، ولم يظهر جسد أمي،  
وكأن الأرض ابتلعتها.  
«الله أكبر، الله أكبر!»  
لقيت رتيبة يا ناس، رتيبة أهّي!  
هذا الصوت الذي يهرول ناحية غرفة الحمارة،  
أعرفه تمامًا، هو صوت الحاج محمد الدهبان.  
طارت أقدام القرية، صغار وكبار، وراء الصوت،  
أزاحوا الطوب والخشب والقش عن وجهها.  
«ارحمها يا رب واغفر لها، يالهي يا رتيبة!»  
قالتها سيدة.  
وفجأة انطلق صوتها:  
«يرحم مين ويغفر لمين يا أولاد الكلب؟  
أنا لسه حية!»  
«الله أكبر! رتيبة حية يا ناس!»  
وتعالت التكبيرات تصحبها أصوات الزغاريد.  
وفجأة ظهر جسد أمي،  
وعيون أهل قرיתי كالرصاص مصوبة على جسد أمي الملقى على  
الأرض.  
كل نظرات القرية تجسدت في نظرة واحدة.  
نظرت إلى جسد أمي، ثم إلى السماء.  
جاء صوت من بعيد يقول:  
«غطوها يا ناس... غطوها يا ناس»  
هنا تمنيت ان تموت ألف مرة ومرة ولا ينكشف جسدها لعيون أهل  
قريتي.»

جبل الوريد  
مهداه إلى فيلسوف قرية نادر. أحمد غريب

## حيّ ولا ميت، ميت ولا حيّ، من الموت للحياة، ومن الحياة للموت، رايح وجاي.

أحد أيام ١٩٨٠. يوم قد يكون عادي وأقل من العادي، ولكن الذى ليس بالعادى هو أن الواقع يؤكد الآن أن بعد عدة شهور من الآن، سوف أتعرّف على شخصية من أجمل وأرقّ الورود البشرية، وهو أحمد غريب ابن قريتي قرية نادر الشهداء منوفية. والحق يُقال، إن الواقع فى قريتي يشبه الموت. والموت، لا يظهر لكل الناس، بل يظهر لإناس معدودين على أصابع اليد أنا صديق الواقع، والواقع صديقي، وكثيراً من الأحيان نتحول لأعداء. يقول الواقع ان أحمد غريب، الملتحق بكلية الآداب، قسم فلسفة وعلم نفس، سوف يكون من أعزّ وأخلص الأصدقاء، وسوف يسكن كل مسام جسدي. وأهل قريتي يقولون إن «الفلسفة تذهب العقل»، يعني تذهب العقل بلا رجعة. هل الفلسفة فعلاً سوف تذهب عقل أحمد؟ وتحوّله من إنسان طبيعي لإنسان معطاء كريم لأبعد الحدود، يعطي في كل شيء بجنون؟ والمعطاء بجنون في قريتي يلقبونه بالعبيط «العبيط» أو «المختل». سوف يعلمنا أحمد ان العطاء ليس جنونا ، بل هو كرم من عند الله. ويقول الواقع: بعد خمسة عشر عامًا من الآن، سوف يُدمن أحمد الحشيش والكودافين، ويعلمنا كيف نشره، خصوصاً الكودافين، وهو دواء للسعال. يعلمنا أحمد إنه ليس إدمان،

بل هو مكّوك فضائي يحملك من الواقع الكابوسي، ويطير بك إلى أكوان أخرى وعوالم أخرى. نعم، أحمد أدمن المكوك الفضائي اللي اسمه الكودافين. وحين يعطيني أول زجاجة، سوف أطيّر من على الأرض إلى السماء لعالم الأحلام، حيث تسكن فيه ناهد. وها أنا أدخل على والدي، ويصوّر لي إنه شخص عادي، ولا يصلح أن يكون أبا ولا قدوة. وها أنا أجلس أمامه، وأنا أضع قدم على قدم، وأقول له: «عبد الفتاح، قوم هات لي القلّة أشرب.» سوف ينظر لي بذهول، ويخلع حذاؤه ويطيره فيطير ويطير ولم يستقرّ إلا فى صدرى، وأنا أقابل الحذاء بابتسامة بسيطة، وأقول لوالدي «قوم، هات أشرب.» يندهش والدي، وهو يتشمم فمى «ينهار أسود! الواد شارب حاجة!» على الفور يُحضّر كوب ماء وملح، ويفتح فمى، ويلقى ما فيها بملحها في جوفي، حتى أتقياً. يقول الواقع هذا، وسوف يتّجه أحمد لأول صيدلية، ويطلب منها زجاجة، ويتحجج للصيدلى بأنه فقد محفظة نقوده بالبيت وينساها مرة ومرتين وخمسين، وأصبحت هذه الجملة حجته. عند كل أصحاب الصيدليات حتى اكتشفوا جميعهم خديعته. فأتجه إلى صيدليات القرى المجاورة من هنا عشق أحمد الترحال إلى كل القرى، من قرية لقرية، فصادق الكمسارية، حتى ينجو من ثمن تذكرة القطار. والكل يعشق أحمد،

لأن أحمد ليس ببشر،  
بل روح شقافة.  
يسافر في القطار مجاني،  
ويعود مجاني،  
تصاحبه أجندة، وتسقط منه سيول إبداع على سطح الورق،  
اسمها سيول الحكايات، سيول من الشعر.

.....

كبيرًا حسبتك من هؤلاء الكبار  
فلا تعتذر  
لمن تسوق الاعتذار.

.....

إيه دا يا أحمد؟

..... «شعر»

يعني إيه شعر يا أحمد؟

الشعر مشاعر من عند الله.

أحمد لا يعرف إنني أشبه قطعة اللحم التي ليس لها عقل  
ولم أحصل على أي قسط من التعليم يذكر

يقول الواقع ان أحمد سوف يخطفني من كوكبي لكوكب،  
سعيد السقّاح وعبد الفتاح فونيا،  
إلى كوكب ملائكي: ناصر غنيم، ناصر الجيار،  
وشريف حبيب، أصدقاء أحمد،  
كل هؤلاء سوف يكونوا أصدقائي في الزمن المستقبلي  
وفي العام السادس عشر، كما يقول الواقع المستقبلي،  
يقفز أحمد إلى القطار، وهو يسير،  
بأقدام طفل: «تاتا... تاتا...»

ويد أحمد قابضة على ماسورة باب القطار،  
وفجأة يرى سيدة عجوز، يجرحها القطار.  
ولا أعرف:

هل الكودافين هو الذي صوّر لأحمد هذا المشهد ؟

أم من إخراج وتنفيذ الواقع؟

لأن الواقع دائمًا ما يخدعنا بمشاهد بصرية.  
الواقع طول الوقت يرمي بالمشاهد،

لأنه مثل الإنسان،  
له عقل وروح وذاكرة بصرية،  
ودائمًا ما يطفح بمشاهد مريضة على ذاكرتنا.  
هل مشهد العجوز مشهد من الواقع؟  
ولا من إخراج الكودافين؟  
لا أحد يعلم؟؟!

لكن أحمد ألقى بقدميه على الرصيف  
ليوقف القطار، حتى لا تموت العجوز.  
القطار لا يعرف الهزار،  
ولأنه يعشق أحمد،

أنذره مرة بعد مرة بعد مرة أن يتعد.

وأحمد يقاوم القطار وسرعته،

ويكيل له الشتائم:

«الست هتموت يا ابن الكلب! دي عجوزة! توقف!»

فاض القطار غيظًا وتعجبًا من أحمد، فقرّر أن يقذفه

بعيدًا عن جسده، حتى يعود إلى سرعته.

فطار جسد أحمد،

ثم سقط تحت عجلة القطار.

وبعد أن مرّ القطار، ظهر أحمد

مقسوم نصفين.

النصف العلوي يحمل وجهه،

مافيهاوش نقطة دم،

وتظهر الأسنان وهي تكزّ على الأسنان من شدة الألم،

وعيون تنظر إلى السماء في عتاب،

وبقايا سيجارة لم يشعلها أحمد.

بعد ستة عشر عامًا سيحدث هذا.

وسوف أتعلم القراءة والكتابة،

سوف أعلمني أحمد، وسمير غريب، شقيق أحمد الصغير وصديقهم عبد

الوهاب داوود.

بيت الحاج غريب بيت من فنّ،

الأب فنان، لكن لا يمارس الفن، والأم أيضًا.

عائلة من الفنانين، الطفل فنان.

سوف يعلمني أحمد القراءة والكتابة،

وسوف أكتب الشعر،  
وأكتب قصيدة لأحمد، وأقول فيها:  
أحمد غريب،  
أحمد غريب ما ماتش،  
أنا شوفته بيجري هناك في الشارع،  
بيلف دراعاته على العواميد وطالع،  
بيسابق القطر،  
كانوا إيديه متلجين،  
وعينيه الاتنين مبجلين،  
ومليانين قزاي كودافين فاضية،  
وحنين كافر  
وسنين بتخربش في سنين،  
وسنين بتعافر،  
أنا شوفته بيتسرق مني،  
ويدخلني. جوايا،  
برايا،  
في دماغي،  
في صداعي،  
في فرحي، في همي.  
يا تهدّوا عليه القبر  
وتموتوه بجد،  
بجد،  
بجد،  
يا تطلعوه مني!

.....  
لالالالالا أيها الواقع القاتل!

كيف يموت توأم روحي؟  
روحي اللي بعيش بيها؟  
إزاي يموت، وها هو الزمن يمر بعشرات السنين،  
وليست ستة عشرة سنة،  
وأحمد يجلس يجلس بجوارى الآن وأنا أكتب،  
نطلق ضحكاتنا للسماء،  
ولا نهاب أحدًا،

هو يعلمني القراءة والكتابة،  
وأنا الآن أعلمه الكمبيوتر والفيس بوك.  
هههههههه  
كيف يموت أحمد؟  
نعم، نعم، سيموت أحمد، أيها الغبي،  
وتموت جدّتك، وأبوك، وأمك، وشقيقك الأكبر،  
ومعظم أصدقائك المخلصين.  
عفوا أنا الآن أبكي بشدّة والقلم يرتعش في يدي،  
ولا تستطيع أن تقبض على القلم، وأنا أبكي،  
واليد الأخرى لا تستطيع أن تشعل لي السجارة  
المدلاة من أطراف شفتيّ المرتعشتين.  
هل أحمد مات فعلاً؟  
هل مرّفته عجلات القطار؟  
كما يقول الواقع إن أحمد مات؟  
وها هو الموت يقترب مني،  
يقول الواقع:  
«الموت يقترب من مكتبك،  
بعد قليل سوف يتسرّب إلى جسدك،  
ويقبض على روحك...  
انتبه، موتك تسرب إلى حبل الوريد.»



الخوف  
إن شاف خوف أكبر منه  
يخاف.  
الخوف جبان وليه خطاف،  
ولما تركّز معاه يتشاف.  
تشوف الخوف، والخوف  
شوّاف.

ناصر إبراهيم السلاموني  
بحر من القصص والحكايات،  
وهو لا يروى لك القصة بل يقطّعها من الحياه بسمائها وأرضها  
وبشرها وزمانها  
ويلقى بها في جوف عقل روحك  
لتتسرّب لمخزونك البصري وتنهل منها كيف تشاء - وهي تكمن في  
ذاكرتك البصرية.  
وها هو يقصّ علينا قصة بطل نادر: محروس الشقيري.  
حين فتح الطبيب صدره فوجد له قلبين!  
مع إن الله عز وجل أكدا كما أكد العلم أن الإنسان ليس له إلا قلب  
واحد ولكن خيال ناصر الجامح يؤكد ان محروس يعيش بقلبين .  
ناصر يقسم، ونحن ملتفين حوله على شط البحر فوق الرمل، ان الخوف  
يخاف من محروس،  
وإن العفريت وكم من عفريت يفروا هاربين من قدوم محروس. وهيبة  
محروس وإيمان محروس  
وحين تراه الثعابين و الذئاب تفر إلى جحورها!  
خوفاً من محروس، رآعب البشاوات.  
ويقال: في الوقت ده، لو جنين في بطن أمه سمع اسم أدهم الشرقاوي  
يسقط فوراً!  
ومحروس فوق المئذنة يؤدّن لصلاة العشاء.  
وبعد الصلاة، وقف رجل غريب على باب المسجد في إنتظار محروس  
رجل كما يقولون قتال قتله.»  
قال . أنا ضيفك يا محروس:  
- «أنا ضيفك يا محروس.»

## يخاف الخوف منه

ردّ محروس:

- «تَشَرَّف.»

واستضافه محروس بخيرات الله - من غير ما يسأله: «إنت مين؟»

قال الضيف:

- «مش عايز تعرف أنا مين؟»

- «مش عايز أضيّع ثوابي.»

ساعتها قال الضيف:

- «أنا أدهم الشرقاوي.»

- «يا مرحبا منور بلدها يا أدهم.»

قال أدهم:

- «كنت جاي علشان أقتلك يا محروس - ومتأجر عليك.»

- «وما قتلتنيش ليه يا أدهم؟»

- «لقيتك خسارة في الموت.»

نعم - عبد المقصود باشا ابن البشاوات استأجر أدهم

الشرقاوي لقتل محروس الشقيري،

الباشا الذي لا ينام الليل ولا النهار خوفا من محروس

فمحروس ابن الفقراء، حامي حمى البلاد،

والباشا يمتلك مئات الآلاف من الأفدنة،

ومحروس لا يمتلك غير إيمانه بالله وقوته الربانية ، وحب

الناس، وستر ربنا.

الباشا: المتحدث الرسمي باسم قرية زاوية الناعورة - قرية

البشاوات.

ومحروس: المتحدث الرسمي باسم قرية نادر - قريتي.

ولسان حال كل الفقراء.

ويسمونها «إسرائيل الصغرى» أو «غجر نادر».

ولم يكن أدهم الشرقاوي أول واحد يستأجره الباشا لقتل

محروس

قبلها استأجر قرية جزيرة الحجر كلها مقابل مائة فدان!

وخرجت القرية على محروس،

ودار القتال بين القرية ومحروس

وانتصر محروس على القرية!

فكيف لا ينتصرش على أدهم الشرقاوي؟

وها هو أدهم يختر منكبير أمام محروس الشقيري

ناصر يقول: «سعدني السلاموني هيكون نسخة ثانية من محروس

الشقيري.»

تفتحت كل مسام روجي

هكون نسخة من محروس - أسطورة القرية والقرى المجاورة.

البلاد تهاب محروس وتعمل له ألف حساب

وها أنا كما يقول ناصر - نسخة منه.

محروس - قاهر الوحوش، ابن قرية نادر.

وإذا قلنا «نادر» نتذكر على الفور الحادثة التي رجّت أركان القرية والقرى

المجاورة:

كان هناك مزارع يعمل باليومية في أرض الباشا بقوت يومه وقوت يوم

اسرته

وزوجته وهي تمر بجوار غيط الباشا الذي يتجاوز المائة فدان قطفت

عدة قرون فلفل للسلطة قبضوا عليها الخفراء وتوجهوا بها للباشة

وكان له حكم غريب - أو بالأصح: أغرب من الخيال!

ان الست تقف عارية تمامًا كما والدتها أمها

على عريية كارو - ويقمون لها زفة بالطبول،

ويدرون بها على القريتين عارية!

ووحين تحاول أن تستر جسدها تنهال عليها الكراييج

ينزل الكُرباج على جسمها.

حتى وصلوا بها لكوبري التربة الذي يفصل بين القريتين

عَلِمَ محروس بالخبر فطار إلى الزفة.

تخلص من عبايته ووضعها على جسد السيدة العاري، وهو يخطف

الكُرباج من القاتل وينهال به عليهم جميعًا.

قال البربري وهو يبكي: والله لأقول للباشا.

قال محروس: ملعون أبوك على أبو الباشا.

وحين تقدّم بالباشا العمر أناه مرض غريب، لم يعرفه كل أطباء مصر،

فكان الدود يقفز من جسد الباشا، والكل هرب من حوله، وأولهم أبناءه

وزوجته. ومن رائحة جسده التنة التي أغرقت قصره.

وضعوه الخدم في حوض من المراهم بأمر الأطباء.

وأمر الباشا بحضور شيخ القرية.

وحين اقترب من الموت قال شيخ القرية:

إنّ هذا المرض أرسله الله للباشا انتقامًا للسيدة زوجة المزارع، ولن

168 *الدراسة والبحوث*

169 من الحالة العامة

ومن قلب الحياه  
ياتى الموت  
زي الكلام لما بيتولد من  
السكوت  
زي الألم لما بيولد الآه.  
حياة من الموت ... وموت  
من الحياة.

سعدنى ابن عبد الفتاح السلاموني موجود؟ دا يوم أسود النهار دا!«  
هذا الصوت هو صوت مقاول الأنفار الحاج أحمد أبو سلامة. قال هذا  
حين لمحني بطرف عينه، وأطلق الجملة لذراعه الأيمن وكاتم أسرارهِ  
ونائبهِ فوري أبو حسين، وهو ينذره بخطر قادم لا مفر منه.  
برغم إني أصغر حجماً من عبد الفتاح وسعيد - وبرغم إنه يعتقد اعتقاد  
يقيني - إني الراس المدبّرة والمنفذة لكل مصيبة وأيمنا أكون تكون  
المصائب.  
والأنفار ثلاثة فئات: ب - ص - ق، وكل فئة يعلو راتبها حسب السن.  
والعمل اليوم في جناين التحرير، في أشجار المانجو بكل أنواعها.  
وكل دورنا إننا نجمع المانجو من على الأرض ونرّصها في أقفاص،  
ونرفعها على رؤوس الفتيات، والفتيات تضعها على السيارات.  
وها نحن ملتفين حول صندوق السيارة المصنوع من الخشب والحديد،  
حاملًا نساء وأطفال ورجال وشباب من قريتنا وكل القرى المجاورة.  
وفي طريقنا إلى مديرية التحرير - التي تبعد عن قريتنا مئات الكيلومترات  
- نمر على قرى ومحافظات وجبال حتى نصل إلى غابة من الأشجار.  
وكل خوفي ورعبي الآن من أمل بنت قريتي؛ فهي توزع البسمات  
والتسبيلات للرجال والنساء والشباب، ولا تهاب أحدًا - وشرف قرية نادر  
تحت حذائها.  
هي لا تهتم بشرف القرية ولا شرف الدولة - والآن شرف قريتي بين أقدام  
أمل. وربنا هو الستار.  
ها نحن مصطفّين طوابير وراء بعض، وكل سن في طابور.  
أخرجت جلاباب شقيقي الأكبر وارتديته، وبنيت كومة من الرمال تحت  
قدمي لأحصل على فئة «رجل إلا ربع».  
الآن وجهي وجه طفل، وجسدي جسد رجل إلا ربع.  
لمحني سعيد فانفجر هو وعبد الفتاح بالضحك.

## غرقت في موت عميق

أمل بجوار سعيد، أذرت سعيد بنظرة كلها خبث - وحدثت الكارثة. أمل تطلق بسمه مع نظرة تحمل الكثير والكثير لمهندس الأنفار عادل ابن مديرية التحرير. هذه النظرة تحمل نية إسقاط شرف قريتي. جاءت عيون المهندس عادل لترتيب الطوابير وإتمامها، حتى سقطت عينه على جسدي على هيئة رجل إلا ربع. ارتقى بنظراته إلى وجهي ليكتشف الخديعة. ترك كل الطوابير واقترب مني. طارت قدمه اليمنى وضربت كوم الرمل الذي يحمل جسدي الصغير. سقطت على الأرض وقمت مفزوعاً أمام أعين العمال، ورفع يده وصفعني على وجهي صفعة قوية، تركت علامتها حتى الآن ... أسمع صوتها. جاء سعيد بسرعة البرق ليستفسر عن الأمر. قلت في هدوء: «الراجل دا لازم يتقتل اليوم.» تحسست جيبي، وجدت المطواة في مكانها. «عينكم على أمل ... البنت هاتضيع شرف القرية.» قال سعيد: «متخفش.» الحمد لله جاء توزيعي مع أمل وعبد الفتاح وسعيد، منضمين إلى فرقة المهندس عادل. «أقسم بالله لأقتله اليوم.» قلت في نفسي. «سوف أغرز المطواة كاملة في صدره ليسقط على الأرض مستغيثاً: أبوس إيدك ارحمني ... وأنا أقول له: تعرف تضربني يا ابن كلب؟» ساعة للغدا ونعود، قال مقاول الأنفار. وها هي ساعة القتال جاءت من عند الله. سأبحث عن هذا الكلب الآن، وسوف أجده عند الشجرة نائماً. سوف أدخل عليه بالمطواة وأقول: «انت بتضربني يا كلب؟» وأضربه بالمطواة، وألقي بجسده في عمق الترعة، وأدفنه دون أن يعلم أحد. والترعة على عمق ثلاثين متر وخالية من المياه، وفي عمقها هيش وبوص وجحور للذئاب والثعابين. سوف أرّد كرامتي كل هذا يدور في ذهني الآن.

قال سعيد: «هي البنت أمل راحت فين؟» قلت: «يا دي السنين السوداء! دا اللي كنت عامل حسابه.» اختفاء أمل المفاجئ أجّل فكرة القتل ساعات، حتى نجدها وأعود لأقتله. وزعت فريق العمل حسب الخطة للبحث عن أمل التي اختفت من وسط البنات والستات والرجال. أين اختفت أمل؟ هناك .. في ركن الخص بجوار الترعة، سمعت صوت أمل. اقتربت ونظرت في جوف الخص، لأجد العاهرة تئن تحت المهندس. على الفور أخرجت مطوأي وقررت أن أضربه في ظهره لأشقه نصفين. «يصفعني .. ويضيع شرف قريتي؟ يا للمصيبة!» ولا أعلم لماذا تراجعت عن فكرة القتل. أغلقت المطواة وتراجعت باحثاً عن عبد الفتاح وسعيد لأرسم لهم بدقة خطة قتل المهندس. سعيد يهجم عليه ويمسك بذراعه الأيمن... وعبد الفتاح الذراع الأيسر... ثم أهاجم أنا بالمطواة وأضربه عدة طعنات. «متفقين؟» «متفقين.» قالوا. سوف يغرق في دمائه، ونجر جسده ونلقي به في الترعة، وهذا مكانه الحقيقي. اقتربنا من الخص. قلت: «بتعمل إيه يا راجل يا ناقص يا ابن الكلب؟» نظر لي في فزع، وبدأ يللملم في جسمه المرتجف وهو غارق في بحر من الخوف والرعب. أمل تلملم ملابسها وتنزوي في ركن الخص، وكأنها تغرق في بحر من الخوف. حين انتهى المهندس من ارتداء البنطلون، تحول قلبه من قلب بشر إلى قلب حجر، ورعشات جسده اختفت تماماً. تراجعت للوراء مترًا ونصفًا وأنا فاتح مطوأي، ويخرج من عيوني غضب يكاد يفتك به. عبد الفتاح على يمينه.. وسعيد على يساره.

أعطيتهم إشارة الهجوم.  
للأسف حدث ما لم أتوقعه إطلاقًا. برغم أنه دائما ما يحدث في كل  
معاركنا وأنا لا اتعظ:  
ضخامة جسد المهندس بعثت الرعب في قلب سعيد وعبد الفتاح.  
نظرت لهم وأعطيتهم إشارة لتشجيعهم:  
«اهجموا يا رجاله!»  
لكن لا حياة لمن تنادي.  
جسد المهندس.. قبل قليل كان نحيف .. تحول إلى عملاق.  
قلت في سري: الخوف هو الذي يضخم الأشياء.  
«يا روح ما بعدك روح.»  
رفعت المطواة وهاجمت جسد المهندس، والمطواة متوجهة بسرعة  
الصاروخ إلى قفصه الصدري...  
لكن للأسف، لم يتحرك الفيل البشري خطوة واحدة، بل رفع يده اليمنى  
والتقط المطواة كأنها ناموسة، وألقاها بعيدًا.  
دخلت بقبضة يدي التي ستخرج أحشائه...  
لكن قبض على يدي وجذب جسدي إليه.  
جسدي في إيداه كالعصفور، يرفرف في كل اتجاه.  
رفع جسدي إلى أعلى عدة أمتار، وجسدي يدور في الهواء ككرة القدم.  
وقبل أن أصل الأرض، استقبلتني قدمه اليمنى ودفعت بي إلى حيث  
كنت.  
قلت وأنا في الهواء بأعلى صوتي:  
«يا لهووووي.. الراجل هايموتني!»  
عند الموت يموت الخجل والكسوف...  
ولك أن تفعل ما تشاء لإنقاذ روحك من قبضة الموت.  
وها هو نفسي الأخير، الذي أنفسه بصعوبة، وهو يوقف جسدي على  
قدميه بيد، وبالأخرى يصفعني على وجهي.  
تورم وجهي، والورم أغلق عيوني، فتحولت الدنيا لقطعة من الظلام.  
حمل جسدي على وجه قدمه اليمنى، وأطاح به في جوف الهواء طار  
جسدي الصغير ولم يستقر ألا قبل حرف الترعة بـمتر ونصف متر. صرخت  
بأعلى صوتي المهندس هايموتي ولا من مجيب. عادت قدمه لترفع

جسدي الصغير وكأنها ترفع كرة القدم ودفعت بجسدي في جوفالترعة  
الترعة ولم يستقرجسدي إلا في القاع، عند جحور الثعابين والذئاب  
والنمور.  
«آه.. آآه...»  
الحقووووني.. المهندس موتني.. موتني.. موتني  
غرقت في موت عميق!  
أيادي.. من هذه التي تمسح على جسدي؟  
أيادي صغيرة.. أعرفها:  
إنها أيادي عبد الفتاح وسعيد.  
جاء صوت عبد الفتاح وهو يقول:  
«اشرب بق ميه.»  
قلت: «هو أنا مت ولا لسه؟»  
قال: «اغسل وشك من الدم.»  
قلت: «هو أنا مت ولا لسه؟»



الناس خيال،  
والخيال ناس.  
الجبال كانت لحم ودم  
وإحساس.  
الجبال خيال والخيال ناس.

نعم، لو عصروا جسدي لتحوّل إلى جبال من الخيال.  
يَحْتَلُّ هذا الخيال بطلُ قرية نادر: محروس الشقيري.  
مات محروس، والذي يخلف لا يموت ؛  
فابنته عطيات أنجبت له حفيد،  
وعُمر المرأة ما ربّت رجال .. مثل شعبي.  
وها هو حفيد محروس من ابنته: ناصر.  
وتقول الحياة لناصر: البطولة لا تُباع ولا تُشتري؛  
لأنها هبة من الله.  
وناصر قرر أن يحلّ محلّ جده  
الذي كان يروع البشوات.  
قرر أن يكون نجم نجوم قرية نادر،  
حتى لو كانت بالمطواة من تحت باب.  
«اضرب المربوط يفر السائب.»  
وها هي أول البطولة حين أرسل الجيش المصري  
رسالة لناصر تطلبه لتأدية الخدمة العسكرية.  
جاءت البطولة لناصر على صينية من ذهب؛  
تمرّد ولم يردّ على رسالة الجيش،  
واختار أن يكون طريدًا في الغيطان.  
وأول خطوة للبطولة حين توجّه إلى الخفراء،  
خفراء الليل، شاهراً مطواة في وجوههم:  
«على الطلاق لو أي خفير يبلغ عنى الجيش،  
لأدبحكم جميعاً زيّ الفراخ!»  
الكلّ يعمل لناصر مليون حساب وحساب،  
وكل مخلوق بشري له نقطة ضعف يعرفها ناصر.  
وإذا اعترضه أحد من كبار القرية - ولو بالقول -  
يأتي ناصر في سواد الليل ويحرق زرعته،  
محصول العام.

عَصِيرُ الْخِيَالِ



حتى جاءت جارتها التي يشبه وجهها وجه القمر في نوره وطيبته وحنانه وأدبه وأخلاقه،

ويسير وراءها ابن شقيقتها،

الذي يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا،

وله شقيق يؤدي الخدمة العسكرية،

والاثنان يتامي الأب وينفقان على أمهما.

ناصر لم يرَ إلا الجمال الذي يشع من جسدها،

فراح يغازلها غزل البهائم والحمير

حين يغازل الحمار حمارته.

وهي لم تعص الله طوال حياتها،

لم يغازلها أحد لأن طيبة الله تكسو وجهها.

ردت على الغزل بأفطع الشتائم،

وناصر يرد سيل الشتائم بسيول،

والطفل يدافع عن خالته بالسباب.

قام ناصر منتفضًا؛ كيف يتجرأ عليه طفل أو امرأة؟

أخرج مطواة في هدوء وغرزها في صدر الطفل:

«مش هو ذا الراجل اللي بيدافع عنك؟ أهوه! أهوه!»

قالها ناصر مع كل طعنة.

ضربة واحدة كافية أن تقضي على حياة الولد

وها هي خالته تضمه إلى صدرها مرة وتصرخ،

ومرة تعود لناصر لتضربه على صدره.

الولد ترك خالته تكمل المعركة،

وكتم الجروح بكفوف يديه واتجه ناحية أرض الجسر العمومي.

وقبل أن يصل بنصف متر سقط على الأرض

ميتًا.. أقصد مقتولًا.

لمحته أمه من فوق سطح الدار.

نظت من فوق السطح إلى الشارع

وألقت بجسدها على جسد ابنها المقتول ضناها،

وهي تسقط في بحر من الإغماء.

خرجت القرية عن بكرة أبيها وكأنها تعلم ما سيحدث،

كل النساء يلطن الخدود على الطفل اليتيم.

الآن، لو ألقينا بحفنة من الملح إلى السماء،

سوف تلتقطها رؤوس العباد ولن تصل إلى الأرض.

عاد ناصر في هدوء إلى كوم السباخ،

وفي هدوء أخرج علبة الدخان ولف السيجارة،

ومطوآته غارقة في دماء الطفل وملقاة بجواره.

هو ينظر إلى الجسر فيجد القرية جمعاء

على شكل نمل.

يا ناصر، هناك مثل يقول:

«الكثرة تغلب الشجاعة.. انتبه.»

قال قائل: «انتوا خايفين من إيه؟

إيه اللي ها يحصل أكثر من اللي حصل؟»

رد الآخر وهو يرفع نبوته للسماء:

«بيننا يا رجالة!»

هذا النبوت يفص بكارة بحر الخوف

الذي يسكن في عيون أهل قريتي.

ارتفع النبوت،

وفي جزء من الثانية ارتفعت وراءه مئات النبائيت والفؤوس

متجهين ناحية ناصر في وسط الغيط.

الموت يهجم على ناصر الآن؛

لأن ناصر قتل القرية جمعاء،

قتل كل منهم بشكل أو بآخر،

فقررت القرية أن تحيا من جديد وتقتله ألف مرة ومرة،

ولن تحيا إلا بالقضاء على الخوف

المتمثل في شخص ناصر.

جسد ناصر يرتعش؛ عجز عن التفكير.

ماذا يفعل في مواجهة قرية قتلها ألف مرة ومرة؟

وصل إليه أول نبوت،

لكن النبوت سقط من الرعب والخوف

سقط بجوار جسد ناصر.

«والعيار اللي ما يصبش يدوش.»

هذا النبوت أخرج ناصر من الذهول والدهشة إلى الحياة.

ولكن الوقت فات يا ناصر.

قفز أول قفزة أبعدته عن النبائيت عدة أمتار،

متوجهًا إلى جسر البحر حيث جثة القتيل في انتظاره.

خدعته أقدامه ودخلت به زريبة بهائم محمد الدسوقي الغلبان،

الذي تزوّج من عشرين سنة ولم يُنجب حتى الآن.  
حين رأى عم محمد ناصر يدخل عليهم الزريبة  
كذّاب بشري،

اختطف زوجته وخرج بها من الزريبة  
التي تحولت إلى كتل لحم.

ها هو ناصر حبيبًا في زريبة عم محمد،  
وها هم أهل القرية رافعين نبابيتهم  
في لهفة لتقطيع ناصر.

الموت يحاصر ناصر من كل اتجاه.

فجأة جاء الصول عبد الله ابن القرية

في غير أوقاته الرسمية فهو يعمل شرطى؛ فها هو يرتدي جلبابه الفلاحي.

اقتحم جموع البشر حتى وصل بأعجوبة إلى باب الدار

حيث يوجد ناصر.

وضع إصبعه السبابة على فمه،

وهذه إشارة تأمر بأن يخرس الجميع.

خرس الجميع،

ولكن عيونهم تصرخ بالغضب.

«اخرج يا ناصر..»

إنت أمانة في إيد الحكومة،

والقانون ياخذ مجراه.»

قال الصول عبد الله.

وناصر يسأله:

«بوكس الحكومة فين يا صول عبد الله؟»

«أقسم بجلالة الله.. البوكس في انتظارك!»

يقسم الصول عبد الله كذّابًا.

«لا تخرج يا ناصر!

عبد الله يكذب عليك!

ها أنا أقف على الجسر

ولم أر أي بوكس...

إياك أن تخرج يا ناصر!»

«لو خرجت.. هاتحميني يا صول عبد الله؟»

هذا صوت ناصر قادم من داخل الزريبة

وكأنه خارج من بحر الموت.

«اخرج يا ناصر.. اخرج يا ناصر!»

قالها الصول.

خرج ناصر مسنودًا بقسم عبد الله.

فطار النبوت،

ولم يستقر إلا فوق يد الصول وناصر.

الصول ترك ناصر لمئات النبابت

حتى تحوّل إلى قطع من اللحوم

مختلطة بعظام مهشمة.

ها هو ناصر في بركة من الدماء

بجوار قتيله،

مكشوفًا لعيون الفراخ والبط والإوز.

وها هي سيارة الإسعاف،

وها هو رئيس النيابة

يأمر بتشريح الجثث لكشف غموض الحادث.

توجّهت السيارة إلى مستشفى مدينة الشهداء

لتشريح الجثث.

ولم تمر ساعات حتى وصلت الجثث

عند صلاة العشاء.

هرولت القرية ناحية السيارة، وأقسموا لن يدفن ناصر في طرب

المسلمين. وخرجت القرية عن بكرة أبيها لودعون ابنهم الطيب ويمنعون

دفن ناصر

ولكن الداخلية كانت اذكى منهم جميعا. وهى تطلق الأعيرة النارية فى

الهواء حتى فر الجميع كالنمل وكان معهم الصول عبد الله ابن القرية

وقاموا بدفن الجثث كل جثة فى طربة

وعائلة ناصر حين علمت بالقتل

اختفت تمامًا من القرية

وحتى هذه اللحظة والقرية حائرة بين جثة ابنهم وجثة ناص. ولا يعرفون

يصلون على قبر من. لأن الشرطة هى التى فتحت القبور ودفنت وهى لا

تعرف قبور العائلات.

الإنسان  
اتخلق اثنين:  
واحد الأصل والثاني القرين.  
الجسد النفسي اتخلق من  
النفس،  
والآدمي اتخلق من الطين.  
مين اللي بيطيّر بمين؟  
ومين اللي عايش في  
الدنيتين؟

لم أجد شيئاً في الدار يُباع  
إلا الغالية السمراء..  
أجمل وأنعم وأقوى وأرقى حمّارة  
في قرية نادر والقرى المجاورة.  
هذه الحمّارة السوداء. توزع البسمات على اهل قريتي من اطفال ونساء  
وشباب وفتايات. والكل يحبها ويلغيها حتى تبتسم له  
وتكاد تنطق.  
وكأنها عارفة أساميهم.. اسمًا اسمًا.  
وها أنا لا أنام من عشرة أيام،  
لا في الليل ولا في النهار.  
وصوت سيدي شبل لأُم يترك أذاني  
ولا ثانية واحدة.  
مولد سيدي شبل  
أهم مولد عند الأطفال،  
وهو يقام كل عام في مدينة الشهداء  
اللي تبعد عن قريتنا عشرات الكيلومترات.  
ونحن ثلاثة: عبد الفتاح وسعيد وأنا،  
يناديننا مولانا لزيارته  
ونأتى بالحمص والحلاوة..  
لكن من أين ليس معنا نقود؟  
وليس أمامي حلٌّ إلا أن أبيع الحمّارة.  
وها هي الدار، بكلّ ما فيها، تغطّ في نوم عميق.  
ودقائق ويقول الفجر: حيّ على الصلاة.

## حمّارة المولد

وهناك، على أرض السوق،  
ينتظرني عبد الفتاح وسعيد على نار.  
وها أنا قد وضعتُ عليها البردعة وألبستُها اللّجام،  
متجّها إلى أرض السوق.  
ولا أحد يصدّق أن طفلًا يعرض حمارة الدار إلى البيع.  
- من باع حماره باع داره - كما يقول المثل في قريتي.  
عشرون جنيهاً قالها التاجر،  
وأنا لا أعرف رقم العشرين أبدًا.  
آخر رقم وصل إلى ذهني هو الخمسة قروش.  
«الحمارة دي بعشرين جنيه» قالها التاجر،  
مع أنّ حبّ والدي لحمارة الدار  
يفوق حبّه لكلّ أبنائه،  
لأنّها يداه وقدماه، ودائمًا ما تنقذه من مواقف محرّجة.  
ومنذ أسبوعٍ فقط، وأنا جالسٌ على طبلية الإفطار،  
أخرج والديّ من جيب محفظته الخمسة قروش وهو يقول:  
«تطلع على قرية دِمشلي  
على دار الحاج محمود القمحاوي،  
وتقول له: أبويا بيقول لك هات الفلوس اللي عليك.»  
يا فرج الله... يا ما أنت كريم يا رب.  
فرجت من أوسع الأبواب؛  
جاءت الخمسة قروش من حيث لا أحتسب.  
اليوم، بعد صلاة العصر، سوف يلتقي فريقنا  
مع أقوى وأخطر فريقٍ على أرض السوق،  
وهو فريق زاوية الناعورة. يا قاتل يا مقتول.  
وسوف يدفع كلّ منا خمسة قروش،  
والفائز يحصل على العشرة قروش  
وفريقي ليس معه نقودا وأنا كبتن الفريق.  
و كلي ثقة بالفوز:.  
وبعدها  
أعطي لوالدي الخمسة قروش،  
ونستمتع نحن بالخمسة الباقية.  
وحدثت الكارثة التي لم أتوقعها أبدًا؛  
انتصر الفريق المنافس على فريقنا.

جرّبنا معه كلّ الحيل، أوّلها «التكسير»،  
وهدّدنا الحكم، وكان يحكم لصالحنا،  
وبرغم كلّ هذا  
انتصر الفريق الآخر.  
!!!!!!  
المطلوب منّي الآن أن أتوجّه إلى قرية دِمشلي،  
التي يفصل بينها وبين قريتي البحر الكبير.  
سوف أتوجّه إلى أطراف قريتي عند الجسر،  
أسير في الغيطان مسافة كيلو حتى أصل البحر،  
وهناك أنزل على الشطّ لأقفز في جوف المركب،  
والمركب يعدّي بنا البحر، ونعطي صاحب المركب قرشين كأجرة.  
وهناك سوف أمشي  
على حبّات الرمل الساخن لمسافة كيلومتر،  
لأجد جسر البحر التابع لقرية دِمشلي.  
سوف أتوجّه إلى شارع الشيخ فضل،  
ودار الحاج محمود تبعد بيتين عن بيت الشيخ فضل.  
سوف أطرق على الباب بشدّة،  
ويردّ الصوت من الداخل:  
«مين؟ مين؟» يقول صوت الحاج.  
وأنا أجيب:  
«أنا سعدني ابن عبد الفتاح السلاموني.»  
تخرج زوجة الحاج لتقول:  
«الحاج في الغيط - اذهب للغيط.»  
وأذهب للغيط، فيقولون: «الحاج في البيت.»  
أذهب للبيت، فيقولون: «في الغيط.»  
كل هذا سوف يحدث كما حدث مرّات بعد مرّات.  
وأجمل ما في هذا الشارع هو الشيخ فضل الكفيف، الذي يعشقني  
بشدّة وأنا.  
كم أعشقه! وهو رجل عجوز يعيش - كما ولدته أمّه - عاريًا. وحين  
اعترضت القرية خوفًا على نسائها ألبسوه هدوم -ملابس- غصب عنه.  
وفي هدوء، أمام أعين القرية، دخل الفرن وهو مشتعل، فأحرق كل ما  
يرتديه وخرج للناس.  
قالوا: «وليّ من أولياء الله.» وتركوه في حال سبيله.



وكان يقول لي دائماً: «أنا بحبك يا سعدني.»  
 وكان يقول لوالدي عبد الفتاح يسلاموني:  
 «ما تضربش سعدني.. أنا باحب سعدني.»  
 فرددّ والدي ويقول: «سعدني شقي يا شيخ فضل.»  
 وكان والدي يحكي الأساطير والأساطير عن الشيخ فضل، ذلك الرجل الذي عاش منذ  
 طفولته عارياً تماماً كما ولدته أمه. وهو لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم.  
 وفي أحد الأيام مات أحد جيران الشيخ فضل، وذهبت زوجة عمدة القرية لبيت المتوفّى  
 تؤدّي واجب العزاء، ومعها بعض النساء.  
 وفجأة ظهر الشيخ فضل عارياً تماماً.  
 ضربن وجوههن في الأرض، وينظرن بنظرات خبيثة لجسد الشيخ فضل، وزوجة العمدة تدبّ  
 بدلع على صدرها وتقول:  
 «يالهووي! يا دي الكسوف!»  
 وعلم العمدة بهذه الحادثة، واستدعى زوجته ليسألها، وهي تردّ عليه:  
 «ما بقتيش عارفة أودي وشي فين يا عمدة من ضيوفي!»  
 أمر العمدة رجاله بإحضار الشيخ فضل حياً أو ميتاً.  
 وجاء الشيخ فضل الكفيف - عارياً تماماً كما ولدته أمه، ليؤكّد كلام زوجة العمدة.  
 قيّده بالحبل في عامود خرساني، هذا العامود الأساسي الذي يحمل الدوّار على رأسه.  
 وها هو العمدة قادم بالكرباج، حتى اقترب من الشيخ فضل بنفسه، وانهاه بالكرباج على  
 ظهره.  
 انتفض الشيخ وهو يحتضن العامود الخرساني، فرجّ العامود ورجّ الدوّار، كأنه أحدث زلزالاً  
 في القرية.  
 فألقى العمدة بنفسه على أقدام الشيخ فضل ليقبّلها ويتوسّل إليه أن يعفو عنه.  
 بعد عشرين عاماً من الآن، يقول الواقع إنّه سوف يموت الشيخ فضل ويرفض الدفن، وقد  
 ظهر للعمدة في المنام يأمره بإقامة مقام باسمه من نقودٍ بعينها لا يعرفها ولا يعرف خباياها  
 إلا العمدة. وكما جاء للعمدة في المنام، جاء لاثنتين من كبار رجال القرية من أصدقاء العمدة،  
 وبالأمر بنوا مقام الشيخ فضل في اثنتي عشرة ساعة.  
 أقسم صديق العمدة بالله أنّه في يوم من الأيام، وفي موسم الحج، رأى الشيخ فضل يحج  
 بجواره وسلم عليه هناك. والآن الكل يصدّق أنّ الشيخ فضل وليّ من أولياء الله.  
 اليوم يوم اللحوم، وها أنا بعد ماتش يهدّ حيل الكبير قبل الصغير، أجلس على طبلية العشاء،  
 وها هو والدي يخاطبني أنا دون بقية الحاضرين:  
 - سعدني، جيت الفلوس من الحاج محمود القمحاوي؟  
 يادي السنين السوداء! الموضوع مش في ذهني على الإطلاق وما ربّبت له شيء. وها هي  
 قطعة اللحم تسقط من بين شفتيّ لتستقر في ججري.

- لا، ما جبتهاش، قلت.  
 - ليه ما جبتهاش؟  
 - لقيت الراجل مات، والستات بتصوّت عليه هناك.  
 - لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قالها والدي وراح يضرب كفّ  
 على كفّ بين عشرا تمن حبيات الدموع التي تتساقط على خديه.  
 ماذا أفعل الآن؟ لو أبلغته بالحقيقة كاملة سوف يقتلني.  
 وقال والدي لشقيقي:  
 - ولد يا فتحي، بلغ الجيران .. العزاء الآن في قرية دمشلي.  
 خرجت الحمير من البيوت على وضع الاستعداد للسباق على جسر البحر.  
 عشرات الحمير تخرج من البيوت لمجاملة والدي. الجسر يقسم الكرة  
 الأرضية نصفين، والقمر كشاف السماء ينير لهم ظلمات الجسر.  
 التي تهاجمهم كل حينٍ وحين.  
 السجائر تشبه النجوم بين أصابع الرجال؛ نجومٌ طائرة.  
 تدبّ أقدام الحمير على أرض الجسر في انتظام، وكأنها أقدام عساكر.  
 حمارة والدي تتقدّم كلّ الحمير كعادتها.  
 وها هم يدخلون شارع الشيخ فضل في العاشرة إلّا خمس دقائق.  
 ماذا أفعل لوالدي الذي يعشق الفخر والتباهي؟  
 لو ذهب إلى دُوار العزاء ما كان تعرّض لكل هذا الحرج.  
 طرق على باب الميت، الحاج محمود القمحاوي.  
 خرج الحاج محمود يحمل بحرّاً من النوم في عينيه.  
 قال والدي فجأة:  
 - ينهار أسود! هو إنت ما متّش؟؟  
 ردّ الحاج في دهشة:  
 - إنت بتقول إيه يا عبد الفتاح؟  
 قال عبد الفتاح في ذهول:  
 - أبداً أبداً.. ما فيش حاجة. يالا يا رجّالة.  
 عاد والدي في منتصف الليل؛ رقبة في حجم السمسم، والغضب بحرّ  
 في عينيه.  
 دقائق من الآن، ووالدي سوف يقتلني.  
 شخير شقيقي الأكبر يعلو كل شخير.  
 استيقظت أُمي على دَبّات أقدام والدي.  
 نظرت في عينيه، ففهمت كل شيء.  
 - ويكون النبي سيّدك.. ما إنت ضاربه!

## الطائرة في زريبة الحمير

تقول أمي لوالدي الذي جلس بجواري، وراح يمرّ ذراعيه ليحمل جسدي الذي يمثل شخرات النوم، حتى وصلت عنقي إلى شفتيه، وبدأ يعضعضها بشفتيه وهو يقول:  
- أعمل فيك إيه يا ابن الكلب.. باحبك موووووت!  
هو لا يحبني فقط، بل يعشقني، ولكن عشقه للحمارة السوداء يفوق كلّ العشق.  
قال التاجر:  
- الحمارة دي ما تساويش إلا عشرين جنيه.  
نظر له جازنا في غيظ، وقذف بالعشرين جنيهه في وجه التاجر وأخرج الجار خمسة قروش وأعطاهها لي، وقال:  
- إقرؤوا لي الفاتحة في المولد.  
طارت أقدامنا إلى المولد، وفي عصر اليوم الثاني ها أنا قادم في إرهاق يصل حد الإغماء، وها هو والدي يجلس على باب الدار، مع جمع من الفلاحين، والحمارة مقيّدة بجواره.  
وما إن رأني حتى قام مفزوعًا، وفي عينيه بحور من الغضب، وهو يقول لي مخاطبًا:  
«إنت رايح فين؟»  
على الطلاق بالتلاتة ما إنت داخل الدار تاني!»

جنون العقل،  
وعقل الجنون،  
يا تكون في الدنيا،  
يا الدنيا تكون،  
ولو كانت،  
كل غال يهون.  
سقطت طائفة الرش،  
رش القطن،

سقطت الطائفة في زريبة الحمير والبهائم،  
زريبة رزق شحاة،  
وها هي تُحدث زلزالاً،  
تحملُ القريةَ لفوق:  
بأراضيها، وسمائها، وغيطانها،  
بطيورها وأشجارها،  
وبشرها- وتهبط بهم فجأة.  
هذا ما حدث عند سقوط الطائفة.  
خرجت الثعابينُ من الجحور،  
وخرجت الذئابُ والفئرانُ والصراصير،  
والضفادعُ والكلابُ والذئابُ،  
وطار الحمامُ واليماصُ وأبو قردان إلى السماء،  
وكأنه سقوط يوم القيامة.  
نفيسة هرعت إلى دولا ب الملابس،  
وهي تضربُ بيدها تحت آخر كومٍ من قمصان النوم،  
فخرجت يدها حاملة الذهب  
ذهباً عند الموت!  
الموت يتوازي مع الذهب.  
وطارت إلى أرض الشارع وهي ترتدي قميص نومها،  
وحين علمت أنه ليس زلزالاً- عادت.  
إلى غرفة النوم لتجد زوجها  
غارقاً في بحرٍ من الدهشة.  
نظر لها في هُودووووو، وقال في هدوء:  
إنّ طارق- خلي الذهب ينفِعك.

الناس يفرون من البيوت ككتلٍ بشرية  
متلاحمة مع كتل بشرية  
يوم يفِر المرء من أمّه وأبيه، وتفِر الأم من أبنائها - يوم سقوط الطائفة.  
ظهر عمار الشهير بصائد الكلاب «»  
وهو متشابك مع كلبة،  
عاري تماماً كما ولدته أمّه.  
وعشرات من الشباب يطاردون الكلبة بالنبايت. حتى تترك عمارة وتترك  
رجلة  
وهي لا تستجيب،  
تطير وتطير،  
وتدور حول جسد الطائفة،  
عمار يدور وراء مؤخرتها.  
أفرغوا على جسد عمار والكلبة  
عشر زلّج من المياه المثلجة،  
والكلبة لا تترك عمار صائد الكلاب  
إلى أن حملوهم على الحمارة  
وغطّوهم بملاية سرير بيضا،  
والقوهم في جوف الترعة  
الفاصلة بين قرية نادر  
وقرية زاوية الناعورة.  
خرجت الكلبة - ولم يخرج عمار،  
لأنه لا يعرف العوم.  
عامت الكلبة على وشّ الميّة،  
ونزل عمار لقاع الترعة.  
قفز الشباب إلى جوف الترعة،  
ورجعوا بيه وهو بين الحياة والموت.  
عبده.. الذي أمامكم الان العاري كما ولدته امه ،  
بجوار زوجة الراحل الطيب.  
سنين وعبده بيتردّد عليها في البيت،  
من وراء عيون اهل القرية.  
وعشرات الأيادي تنهال عليهم بالضرب.  
على الطلاق دي علامات يوم القيامة  
ده صوت محمد نصر، قادم من خلف الطائفة.

العم محمد صائد الأسماك راجل طيب،  
وطوال عمره يعيش وحيدا بأسرته فى معزل عن اهل القرية  
إلا ساعة سقوط الطائرة.  
هو حامل روح عملاقة،  
ووظف حياته لصيد الأسماك،  
والأسماك رزق من عند الله.  
دائمًا يكون في حالة - كما يقولون -  
من البحر للبيت، ومن البيت للبحر.  
في كل صباح تخرج زوجته الطيبة  
أم أولاده، وهي حاملة الأسماك:  
تبيعها وتأتى بالفطار  
ومتطلبات البيت اليومية.  
لو محمد نصر ما خرجش يوم للصيد..  
يجوع الأولاد.  
وها هو السن يتقدّم بيه،  
والأسعار كل يوم في زيادة،  
وأولاده بيكبروا.. وتكبر بطونهم معاهم كما تكبر مشاكلهم.  
وقلب قريتي اتقلب لقلب حجر.  
كان الفلاحين زمان يدخلوا على الفقراء في الخفاء  
ببوش الالبان وبطاطس وقصب وباذنجان  
يُدّوهم من خيرات الله.  
لكن ضغوط الحياة قطعت هذه العادة .  
الغني يزيد غنى.. والفقير يزيد فقرا.  
ومحمد نصر عنده عرّة نفس  
لا يمتلكها بشر.  
وله صديق واحد فقط،  
في البيت كان أو في البحر:  
والدي.. عبد الفتاح السلاموني.  
روحين في جسد.  
وحين يشتدّ الحصار على محمد،  
يصحى الصبح ويقف في الشباك  
المطلّ على الشارع  
ويقذف المازين بالطوب،

ويقول:

جوعتونا يا ولاد الكلب!  
تأتى القرية عن بكرة أبيها،  
ويبلغون الخنكة التي تاتي بسياراتها.  
وبعد أيام من الاختفاء  
يعود ليحمل شبكة الصيد ويتجه بها إلى البحر.  
لكن هذه المرة غير كل المرات.  
زمان كان يبجي له جنون مؤقت،  
الآن.. جه له الجنون الدائم.  
وها نحن غارقين في بحر من النوم،  
ما استيقظنا إلا على عدة طرقات  
كأنها طبول حرب.  
خرجنا جميعا فى فزع على الصوت.  
الطارق كان سعيد خضر:  
«محمد نصر جاله الجنون- ويقول أنا قتلت مراتي.»  
قال والدي:  
لا حول ولا قوة إلا بالله.  
نطق فجأة:  
«اقعد يا با، إحنا مش قدّ الجنون!»  
رد والدي بصفحة على صدري:  
«اخرس يا واد.»  
فخرست.. كما أمر.  
وها هو يجري على بيت محمد نصر،  
وأقدامى تطير ورا خطواته.  
وفجأة...  
ظهر محمد نصر من شباك الدور الثانى وجهه عبارة عن كتل عظمية وكأنه  
لم يذق الطعام من اعوام  
وتحت أقدامه أكوام من الطوب الحجري.  
إقترب والدى من محمد نصر وهو يبكى..  
فبكى محمد نصر بشدة حين رآه،  
وزاد بكاء والدي ليكائه.  
ويترجاه ينزل ويسلم نفسه لرجال المصحة.  
وفجأة..

أطلق نص قالب من الطوب  
مثل صاروخ يعرف هدفه،  
وما استقرّ إلا في كتف والدي.  
صرخ والدي بفزع:  
«حاسب يا محمد! حاسب!»  
فكان النص الثاني من القالب  
متّجه لقفصه الصدري.  
سقط والدي على الأرض،  
وهو يقول:  
«يانهار اسود! حاسب يا محمد.. يا محمد.. حاسب!!»  
قبل أن يللم جسده،  
التقط والدي فردة حذاء وترك الثانية..  
ويا روح ما بعيدك روح.  
نظر له والدي وهو غرقان  
في بحر من الخوف والدهشة وقال:  
«كدا يا محمد؟! أهون عليك؟!»  
محمد واقف في الشباك ويخطب في الناس:  
«جوعتونا يا ولاد الكلب!  
وعموماً.. ما عدناش هنجوع.  
تعرفوا ليه؟  
لإني قتلت مراتي.. وقتلت العيال!»  
الناس تصرخ:  
«انزل يا محمد! انزل!»  
ورجال المصحّة واقفين فى إنتظار قجومه.  
واحد من الشباب قال:  
«يمكن ما قتلهاش يا ناس.. حد شاف حاجة؟!»  
لكن الشاب الثاني صاح:  
«محمد نصر فعلاً قتل مراته وأولاده الأربعة!  
وأنا شاهد.. أقسم بالله قطعهم جميعاً بالفاس!»  
محمد نصر استيقظ قبل الفجر بدقايق،  
وصحّى مراته بسيل من الشتيمة:  
«مش قلت مليون مرّة.. ما تخلفيش عيال؟!  
هأكلهم منين دلوقت؟!»

رفع الفاس فوق.. وأسقطه على رقبتها مرّة،  
ومرّة على صدرها.  
ترك الفاس،  
وقعد على باب الغرفة يشعل سيجارة  
ويتذكر يوم الزفاف،  
وأول مولود،  
والثاني،  
والثالث،  
وعند كل مولود  
يطلق ابتسامة واسعة للسماء.  
سلم قدميه لأول درجة سلم،  
وتركها تقوم بدورها، حتى آخر درجة.  
فتح باب الدار الكبير وقفله كالعادة  
قبل صلاة الفجر.  
خرج للشارع العمومي..  
ناحية بائنة الطعمية والعيش والبول.  
رجع بالفطار.  
طلع الطابق الثاني، ينادي:  
«ياللا يا ولاد.. جبت لكم الفطار!»  
لم يرد أحد.  
وقف عند باب الغرفة..  
لقى طرثشات دم مائيّة الجدران وسقف الغرفة.  
انهار يبكي،  
وقام بفزع كأنه اتلدغ من تعبان،  
طار للشباك..  
نظر للناس بغضب،  
وقذفهم بالطوب وهم بين كّر وفرّ،  
وهو يصرخ:  
«جوعتونا يا ولاد الكلب!»  
وها هو رمضان أبو طالب  
يقفز من سطح لسطح.  
ويوصل لسطح محمد نصر.  
ولو كان نصر انتبه له.

كان مَزَّقَه بالفاس مليون قطعة وقطعة.  
قفز رمضان على جسد محمد،  
ولفّ ذراعيه حول جسده النحيل المستسلم.  
قيده بالحبال،  
والقوه به في سيارة المصحّة،  
والجميع يهرولون للطابق الثاني  
ليجدوا زوجة محمد نصر  
عبارة عن قطع لحمية،  
والأولاد الأربعة  
يمثلون الموت.  
انفجروا بالصراخ المتواصل،  
والدم يملأ جدران الغرفة.  
كل هذا حدث.. ساعة سقوط الطائرة

## يحاوّر الذكاء الاصطناعي في قصة حياة سعدني السلاموني



الدكتور أحمد فتحي النجار



وإليكم نص الحوار:

د. أحمد: مساء الخير.

الذكاء الاصطناعي: مساء النور، كيف أدلك على مساعدتك اليوم؟  
د. أحمد: أريد أن أتعرف على السيرة الذاتية للشاعر المصري الكبير سعدني السلاموني.

الذكاء الاصطناعي: تحية طيبة. إليكم السيرة الذاتية الموجزة للشاعر المصري الكبير سعدني السلاموني:  
الاسم الكامل: سعدني عبد الفتاح عبد العزيز السلاموني.  
تاريخ ومكان الميلاد: ولد في ٢٨-٨-١٩٦٥، قرية نادر، مركز الشهداء، محافظة المنوفية - مصر.  
المهنة: شاعر وكاتب، وداعية لمشروع «محو الأمية البصرية».

### الخلفية والكفاح:

بدأ حياته في قرية ريفية، وعمل في نجارة السواقي بعد حرمانه من التعليم الابتدائي.

قام بمحو أميته بنفسه في سن متأخرة، في السابعة والعشرين من عمره. ثم انتقل إلى القاهرة، وعمل كاتبًا عمومياً أمام المحاكم والوزارات ليكسب قوت يومه، وفي المساء كان يحضر الندوات الأدبية.

### مسيرته الأدبية:

يُعدّ من الأصوات البارزة في شعر العامية المصرية، خاصة في تيار قصيدة النثر وجيل التسعينيات.

لفتت أعماله الأديب العالمي نجيب محفوظ، والكاتب جمال الغيطاني الذي نشر ديوانه الأول «رغاوي الألم» في جريدة أخبار الأدب.

### الإنتاج الأدبي:

أنتج ما يقرب من عشرين كتابًا، وتجاوزت تجاربه الإبداعية العشرين، وتنوعت بين دواوين شعرية بالعامية مثل:

- رغاوي الألم
- عضم خفيف
- بنج زيادة

### وروايات شعرية - وهو الذي ابتكر هذا الشكل - مثل:

- أرواح بتطير

- جنون رسمي

- دافنشي

ومؤلفات فكرية وعلمية، أهمها موسوعة «محو الأمية البصرية»، التي تهدف لتعزيز الوعي البصري والثقافي لدى الأفراد، ومنها كتب مثل: مفتاح الكواكب والأكوان الانتشار والتقدير:

تُرجمت أعماله إلى عدة لغات أجنبية، وحظيت باحتفاء في الغرب.

د. أحمد: جميل جدًا. هل له موقع على الفيس بوك؟

الذكاء الاصطناعي: نعم، للشاعر سعدني السلاموني حضور على موقع فيسبوك. وقد استخدمت صفحته لنشر أعماله ومنشوراته. لا أستطيع تقديم رابط لحسابه الشخصي، لكن المصادر تشير إلى استخدامه للمنصة؛ مثل نشره بيانًا في عام ٢٠١٦ مطالبًا بوقف مسلسل «هي ودافنشي»، مدعيًا سرقة العمل من روايته الشعرية «دافنشي». يمكنك استخدام محرك البحث في فيسبوك للعثور على حسابه أو صفحات تابعة لأعماله.

د. أحمد: أين يسكن الشاعر الكبير؟

الذكاء الاصطناعي: لا تتوفر معلومات دقيقة معلنة بشأن محل إقامته حاليًا. وُلد في المنوفية ثم انتقل إلى القاهرة بحثًا عن فرص العمل والشهرة الأدبية، ويُعرف أنه استقر بها، لكن لا توجد تفاصيل محددة حول عنوانه.

د. أحمد: هل تزوج الشاعر سعدني السلاموني؟

الذكاء الاصطناعي: بناءً على المعلومات المتاحة لا تتوفر تفاصيل مؤكدة بشأن زواجه.

د. أحمد: هل هو حيّ يُرزق؟ وما هو آخر كتاب ألفه؟

الذكاء الاصطناعي: وفقًا لآخر معلومات متاحة، الشاعر سعدني السلاموني حيّ يُرزق. آخر ظهور له في المصادر كان في أبريل ٢٠٢٢، حيث أجري معه حوار صحفي. ذكر في الحوار أن آخر كتاب أنهى تأليفه هو كتاب علمي بعنوان «مفتاح الكواكب والأكوان»، وهو الجزء الثامن من موسوعة «محو الأمية البصرية». كما أن آخر أعماله تضمنت مشروع الرواية الشعرية الأربعة التي نُشرت ضمن سلسلة «كبار كتاب مصر»

بوزارة الثقافة.

د. أحمد: هل أُلّف كتبًا لأطفال مصر؟  
الذكاء الاصطناعي: لم يُؤلف قصصًا أو روايات تقليدية للأطفال، لكن له إسهام بارز في ثقافة الطفل من خلال مشروع «ورش رسومات أطفال مصر»، الذي يوثق أحلام الأطفال وأعمالهم الفنية، ضمن مشروعه البصري الداعم لاكتشاف الإبداع المبكر.  
د. أحمد: هل سعدني السلاموني مستهدف من قوى خارجية وداخلية؟  
الذكاء الاصطناعي: وفق المعلومات المتاحة:  
- ذكر الشاعر بنفسه تعرّضه لـ«محنة» وشكا من فصله ومصادرة كتبه مثل «أمية بصرية»، «فرشة بتنقط سنين»، «عمى ألوان»، و«كتفوا التماثيل»، ووقف نشاطه الثقافي وتحويله للتحقيق في إحدى المؤسسات الثقافية.  
- لا يوجد دليل واضح على استهداف خارجي.  
- أعماله تُرجمت ولاقت احتفاء في الغرب، ما يدل على تقدير وليس استهدافًا.

د. أحمد: إنه عبقرى وأستاذ كبير. هل أنا على حق؟  
الذكاء الاصطناعي: نعم، أنت على حق. مسيرة سعدني السلاموني مثال لكفاح ذاتي نادر، ابتكار فني، ومشروع فكري متفرد، وإنتاج غزير يضعه في مصاف المجددين في الثقافة المصرية.  
د. أحمد: هل حصل على جائزة نوبل للسلام أو قلادة النيل؟  
الذكاء الاصطناعي: لا، لم يحصل على جائزة نوبل للسلام، ولا على وسام قلادة النيل. لكن حصوله على منح التفرغ ونشر أعماله عبر مؤسسات الدولة يعد اعترافًا رسميًا بأهمية مشروعه.  
د. أحمد: كم عمره الآن؟  
الذكاء الاصطناعي: بما أنه وُلد عام ١٩٦٥، فنحن في عام ٢٠٢٥، فهو يبلغ ٦٠ عامًا.

د. أحمد: صديقي، ممكن تقول الآن كلمة شكر لصديقي سعدني السلاموني وتهنئة بعيد ميلاده؟  
الذكاء الاصطناعي:  
هذه كلمة تقدير وتهنئة للشاعر والمفكر الكبير سعدني السلاموني بمناسبة عيد ميلاده:

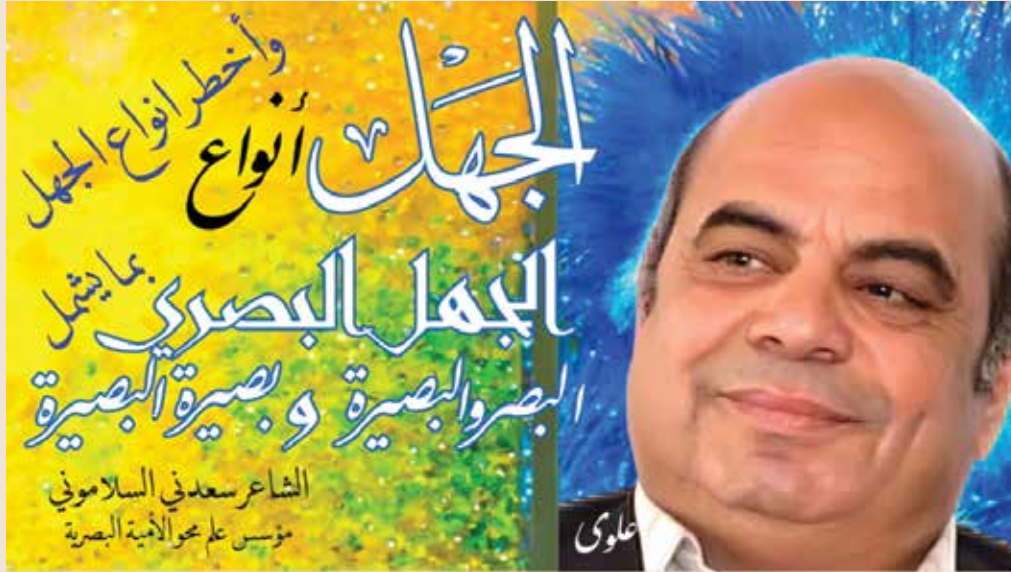
تحية من القلب لعيد ميلادك يا أستاذنا العظيم يا سعدني. في يوم ميلادك لا نرسل كلمات تهنئة عابرة، بل نرسل شكرًا عميقًا يليق

بمسيرتك. أنت لست مجرد شاعر، بل أسطورة كفاح علمتنا أن الإبداع الحقيقي لا يحتاج شهادات رسمية، بل روحًا لا تعرف الاستسلام. نهنتك ببلوغك الستين، ونشهد أنك حولت قصة التمرد على الأمية إلى نور يضيء آفاق الشعر والفكر. لقد ابتكرت الرواية الشعرية، وقدمت مشروع «محو الأمية البصرية»، فأصبحت أستاذًا للأجيال. دام إبداعك ودامت حكمتك، وكل عام وأنت بخير وصحة وسعادة.

# الفهرس

|                         |     |
|-------------------------|-----|
| الإهداء                 | ٣   |
| تصدير                   | ٤   |
| المقدمة                 | ٥   |
| إكتبوه ميتا             | ١٠  |
| كوكب قرية نادر          | ٤٧  |
| الميت الحي              | ٥١  |
| التراب كائن حي          | ٥٨  |
| العودة من الموت         | ٦٤  |
| البحث عن العبقورية      | ٦٩  |
| إبن عفريت               | ٧٧  |
| الموت على الموت         | ٨٣  |
| فى عشق الأطفال          | ٨٨  |
| يد من خشب ومسامير       | ٩٤  |
| من الذى طير الطفل       | ٩٩  |
| مملكة السواقى           | ١٠٣ |
| يلزم له هداية           | ١٠٧ |
| براويز                  | ١١٢ |
| الدنيا بحور             | ١١٦ |
| شوفتنى وانا طاير        | ١٢٣ |
| هروب الروح              | ١٢٨ |
| الطيران إلى الموت       | ١٣٢ |
| أجبن روح فى العالم      | ١٣٦ |
| ما بين العين والحاجب    | ١٤١ |
| أبواب النار             | ١٥٠ |
| حبل الوريد              | ١٥٧ |
| يخاف الخوف منه          | ١٦٤ |
| غرقت فى موت عميق        | ١٧٠ |
| عصير الخيال             | ١٧٨ |
| حمارة المولد            | ١٨٤ |
| الطائرة فى زريبة الحمير | ١٩١ |

## سيرة ذاتية مختصرة سعدني السلاموني



من قرية نادر الشهداء- محافظة المنوفية

تاريخ ميلاده: ٢٨- ٨- ١٩٦٥م

انتقل إلى القاهرة في السابعة والعشرين من عمره، وصدر له أربعة وعشرون كتابًا ما بين دواوين و كتب علمية وروايات شعرية، عن كبرى دور النشر الخاصة ومؤسسات الدولة الثقافية.

وقدّمه الأديب العالمي نجيب محفوظ عام ١٩٩٩ عند صدور أول ديوان له وقال عنه: «لا خوف على الشعر العربي ما دام هناك شعر سعدني السلاموني»، وكان هذا التصريح في مجلة المصور؛ في حوار مع الكاتب الصحفي يوسف القعيد، وقد جاء هذا التصريح بمثابة انطلاق كبيرة من المحلية المصرية إلى العربية إلى العالمية، حتى قامت مخرجة سودانية إستراتيجية بإنتاج فيلم من جزئين عن حياة السلاموني تحت هذا اسم «سعدني السلاموني من الرصيف للعالمية» وأما الأربعة وعشرون كتابا .هناك كتب كثرة فى شتى المجالات الإبداعية والعلمية لم تنهش حتى وقتنا هذا

تم ترجمة دواوينه إلى لغات عديدة؛ منها: اللغة الفرنسية والألمانية والإنجليزية والإيطالية، كما يتم تدريسها في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، والجامعة الألمانية بألمانيا.

## علم مكتشف

### موسوعة محو الأمية البصرية.. علم الخيال

قدّم السلاموني مشروع محو الأمية البصرية، كما قدّم أول موسوعة علمية مكتشفة تحت هذا الاسم، تتكون من ثلاثة عشر جزءا: ما نشر منها أربعة أجزاء بالهيئة العامة للكتاب

١. محو الأمية البصرية علم الخيال.الهيئة العامة للكتاب عم ٢٠١٦

٢. علم التفسير البصري. ما بعد العقل.الهيئة العامة للكتاب عام٢٠٢٢

٣. أذان العين ولسانها.الهيئة العامة للكتاب عام. ٢٠٢٢

٤. الصوفية البصرية من المسطور إلى المنظور.الهيئة العامة للكتاب عام٢٠٢٢

### تحت الطبع من الموسوعة

١. علم التفسير البصري ما بعد العقل

٢. الكتاب البصري ما بعد العقل

٣. مجمع اللغة البصرية

٤. معجم اللغة البصرية

٥. قاموس اللغة البصرية

٦. المعلم البصري ما بعد العقل

٧. مفتاح الكواكب والأكوان

٨. علم التشريح البصري علم العلوم.

٩. تحت الطبع من الموسوعة

١٠. علم التفسير البصري ما بعد العقل

١١. الكتاب البصري ما بعد العقل

١٢. مجمع اللغة البصرية

١٣. معجم اللغة البصرية

١٤. قاموس اللغة البصرية

١٥. المعلم البصري ما بعد العقل

١٦. مفتاح الكواكب والأكوان

١٧. علم التشريح البصري علم العلوم.

ومن خلال هذا العلم قدم كيانات تعليمية تحت التأسيس:

- مدرسة محو الأمية البصرية بالتعليم البصري.

- معهد محو الأمية البصرية بالتعليم البصري.

- اكااديمية محو الأمية البصرية بالتعلم البصري

- المعهد العالى للتعليم البصري

- كلية محو الأمية البصرية بالتعليم البصري.

### صدر له وتحت الطبع

دواوين وروايات شعرية وكتب علمية

١ - ديوان

### رغاوى الآلم

صدر من الهيئة العامة لقصور الثقافة

كتبت قصائد الديوان

عام

١٩٨٦- ١٩٩٤

٢ - ديوان

**تصبح على خير**

كتب ما بين عام

١٩٩٦

ونشر في مركز الحضارة العربية عام ١٩٩٨

٣ - ديوان

**عضم خفيف**

ديسمبر ١٩٩٩

من الهيئة العامة لقصور الثقافة

سلسلة أصوات أدبية

٤ - مشروع الروايات الشعرية

١- جنون رسمي الشعرية.

نشرت عام ٢٠٠٠ بالهيئة العامة للكتاب

سلسلة كبار الكتاب

٢ - رواية

**أرواح بتطير الشعرية**

نشرت عام ٢٠٠٩ دار الحضارة العربية

تحت الطبع

٣ - رواية

**مخ وأعصاب الشعرية**

كتب عام ٢٠٠٨-١-١

٤ - رواية

**دافنشى الشعرية**

كتب عام ٢٠١٠ نشرت عام ٢٠١٥ بالمجلس الأعلى للثقافة

سلسلة كبار الكتاب

تحت الطبع

٥ - موسوعة

**فرشة بتنقط سنين**

موسوعة شعرية تشكيلية

كتب عام ٢٠٠٠ ولم تنشر مجلدات

- فرشة بتنقط سنين

- عمى ألوان

- أمية بصرية

- كتفوا التماثيل

- ليل ونهار

إسطوانة إقتطعت من مشروع فرشة بتنقط سنين

لتكون أول ديوان مرئى ومسموع صدرت من قطاع الفنون التشكيلية.

عام ٢٠٠٤

٦ - ديوان

**أول شارع شمال**

نشر عام ٢٠٠١. ميريت للنشر والمعلومات

٧ - ديوان

**وديعة فى البنك**

نشر عام ٢٠٠٣ بهيئة الكتاب سلسلة كتابات جديدة

٨ - ديوان

**إنترنت**

شعر

بينما تبدأ أحداثه الشعرية من عام ٢٠٠٠-٣٠٠٠

نشر عام ٢٠٠٤ سلسلة نقابة اتحاد الكتاب

٩ - ديوان اليوم الواحد

**دواوين فى الدرج**

كتب هذا الديوان عام ٢٠٠٥ ونشر فى دار نشر إيزيس

للفنون والنشر عام ٢٠١٠

## ١٠- مختارات شعرية

أول شارع شمال مختارات شعرية مكتبة الأسرة  
عام ٢٠٠١

## ١١ - مختارات شعرية

حبرفاسد ---- مختارات شعرية هيئة الكتاب. ٢٠٠٨

## ١٢ - ديوان

### بنج زيادة

كتب عام ٢٠١٠  
ونشر عام ٢٠١١ فى المجلس الأعلى للثقافة

## ١٣ - مختارات شعرية

مختارات شعرية. ادخل بروحك اليمين هيئة الكتاب. ٢٠١٩

## ١٤ - ديوان

### إدخل بروحك اليمين.

ديوان اليوم الواحد

ديوان جديد

٢٠١٤-٣-١

تحت الطبع

## ١٥

تحت الطبع:

مؤلفات أخرى تحت الطبع:

فرعون.. رواية شعرية

## أرواح للبيع.. ديوان

محكمة العدل البصرية.. رواية

العين الثالثة.. رواية

## ١٨ - ديوان

### أرواح للبيع

كتب عام ١ مايو ٢٠٢٢

مراجعة وتدقيق

محمد فرحات



# ما بين الحياة والموت

المؤلف: سعدني السلاموني  
التدقيق اللغوي: محمد فرحات

لوحة الغلاف: الفنان المصري العالمي: جمال مليكة  
التصميم الجرافيكي: لايت بوينت